التحالف الإيراني الأمريكي ضد المسلمين السُّنة !!

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٢٣ السنة الرابعة والأربعون جمادى الآخرة ١٤٣٦ هـ
الثمن جنيهان

المال النافع والعمل الصالح

حقائق عن اليهود

- تعرف على رسول الإسلام ﷺ
- حكم البقشيش والمحسوبية والإكرامية
- ماذا تقول لربك غداً؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM
المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

السلام عليكم

منزلة السنة من القرآن

يقول ليوبولد فايس (صحفي ومفكر نمساوي) في بيان منزلة السنة من القرآن:

«إن العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وإن ترك السنة هو انحلال الإسلام، لقد كانت السنة الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام، وإنك إذا أزلت هيكل بناء ما، أفيدهشك أن يتقوض ذلك البناء، كأنه بيت من ورق؟».

ويقول أيضًا: «إن السنة هي المثال الذي أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم من أعماله وأقواله، وإن حياته العجيبة كانت تمثيلاً حيًا وتفسيرًا لما جاء في القرآن الكريم، ولا يمكننا أن ننصف القرآن بأكثر من أن نتبع الذي قد بلغ الوحي».

كما بين أن رافض السنة عديم الذوق، متبع للهوى؛ حيث قال: «إن رفض الأحاديث الصحيحة، جملة واحدة أو أقسامًا؛ ليس - حتى اليوم - إلا قضية ذوق، قضية قصرت عن أن تجعل من نفسها بحثًا علميًا خالصًا من الأهواء».

ماذا يستحق صاحب هذا القول؟ لقد استحق أن يشرفه الله تعالى باعتناق هذا الدين الحنيف فاعتنقه، وتسمى عند هذا باسم «محمد أسد»

التحرير

مفاجأة كبرى
نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٤٢ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٢ سنة كاملة

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

في هذا العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر ٢
كلمة التحرير: رئيس التحرير ٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٠
باب الاقتصاد: د. علي السالوس ١٤
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
حقائق عن اليهود: صلاح نجيب الدق ٢٣
منبر الحرمين: الشيخ سعود بن إبراهيم الشريم ٢٧
من مكارم الأخلاق: عبده أحمد الأقرع ٣٠
باب الفقه: د. حمدي طه ٣٣
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: أثر السياق في فهم النص: متولي البراجيلي ٣٨
فقه التعامل مع المسلمين: الشيخ مصطفى العدوي ٤٢
باب العقيدة: د. عبد الله شاكر ٤٦
باب السيرة: جمال عبد الرحمن ٤٩
ماذا تقول لربك غدًا: صلاح عبد الخالق ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم ٥٧
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٦١
من معاني (الحفظ) في القرآن والسنة:
المستشار أحمد السيد علي ٦٦
باب الفتاوى ٧٠

مطابع الأهرام التجارية. قليوب. مصر

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

الاخراج الصحفي

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان .ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى .أو مايعادلهما

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

٨٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

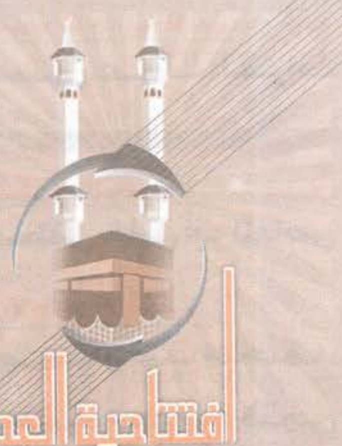

هداية البشرية في التسليم للنصوص الشرعية

الحلقة الثالثة

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وبعد:

فقد بينت في اللقاء السابق ضرورة فهم النصوص الشرعية، كما فهمها الأصحاب الأبرار ومن تبعهم وسلك مسلكهم، وأود في هذا اللقاء أن أسوق كلامًا للأئمة الأعلام في أهمية لزوم هذا المنهج والاقتصار على ما ورد عن السلف السابقين، وذلك لينشرح قلب المؤمن التقي ويطمئن على معتقده الذي يدين لله به، فيسير خلف السابقين، ويكتفي بفهمهم وعلمهم، ومن ذلك ما رواه الدارمي عن عثمان بن حاضر الأزدي قال: دخلت على ابن عباس فقلت: أوصني، فقال: «نعم، عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع». (سنن الدارمي ١/٦٥).

وعن أبي قلابة قال: قال ابن مسعود- رضي الله عنه-: «عليكم بالعلم قبل أن يُقبَض، وقبضه أن يُذهَب بأصحابه، عليكم بالعلم، فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه، أو يفتقر إلى ما عنده، إنكم ستجدون أقوامًا يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والمبتدع، وإياكم والتنطع، وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق». (المرجع السابق ١/٦٦).

فهذان صحابيان جليلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يوصي الأول منهما- وهو حبر هذه الأمة- بعد تقوى الله والاستقامة، بالاتباع وترك الابتداع، وقصده من ذلك الاقتصار على ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم الزيادة عليه.

أما ابن مسعود- رضي الله عنه- فيأمر بالحرص على العلم وتتبعه من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته الأخيار، ثم حذّر من قوم ظاهرهم الدعوة إلى كتاب الله، وحقيقة أمرهم أنهم أعرضوا عنه، كما حذر من المبتدع والتنطع، وأمر بعد ذلك بلزوم ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهو المراد «بالعتيق» في قوله.

وقد عقد البخاري (رحمه الله) بابًا في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة عنونه بقوله: «باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول الله تعالى: «وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» (الفرقان:٧٤)، قال: أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا، وعن ابن عون: «ثلاث أحبهن لنفسي ولإخواني: هذه السُّنَّة أن يتعلموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهموه ويسألوا الناس عنه، ويدعوا الناس إلا من خير». ثم ساق تحت هذا الباب عدة أحاديث، منها ما رواه بسنده عن حذيفة رضي الله عنه قال: «يا معشر القراء، استقيموا، فقد سُبِقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا».

قال ابن حجر في شرحه: «والمراد بالقراء: العلماء بالقرآن والسنة والعُبَّاد، والمراد بقوله: «استقيموا» أي: اسلكوا طريق

الاستقامة، وهي كناية عن التمسك بأمر الله تعالى فعلاً وتركًا». (فتح الباري ١٣/٢٤٨-٢٥٧).

ولأمير المؤمنين الخليفة عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- كلمات مباركة، ووصية نافعة لمن سأله في شأن القدر جاء فيها: «أما بعد: أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته، وكُفُوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة؛ إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها، أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنّها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم: إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه ما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مَقْصَر، وما فوقهم من مَحْسَر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم». (صحيح سنن أبي داود ٣/٨٧٣).

وقد اشتملت هذه الوصية على أربعة أمور هي: الأمر بتقوى الله- تبارك وتعالى- وهي أعلى وأعظم وصية لمن عقل؛ لأنها وصية الله للأولين والآخرين، كما قال رب العالمين: «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا» (النساء:١٣١)، والوصية الثانية: أن يقتصد فيما أمر الله به، والمعنى: أن يتوسط بين الإفراط والتفريط، فلا يزيد ولا ينقص فيما أمر الله به، والوصية الثالثة: اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أمارة على صدق محبة العبد لربه، كما قال الله تعالى: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (آل عمران:٣١).

والوصية الرابعة: ترك ما أحدثه المحدثون في دين رب العالمين، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك خيرًا إلاّ دلّ الأمة عليه، ولا شرًا إلا حذرها منه، وقد مضى الصحابة- رضوان الله عليهم- على ذلك، وكان لهم في سلوك هذا الطريق العصمة والنجاة، وقال الإمام الأوزاعي- رحمه الله-: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم». (حلية الأولياء ٦/١٤٣).

> **إنكم ستجدون أقوامًا يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والمبتدع، وإياكم والتنطع، وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق .**

وقال أيضًا: «عليك بأثر من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك بالقول». (الشريعة للآجري ١/٤٤٤).

وللإمام ابن أبي زيد القيرواني- رحمه الله- كلمات دقيقة يصور فيها مذهب أهل السنة والجماعة في طريقة التعامل مع النصوص والتسليم لها، ونسبها إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله، وفيها يقول: «والتسليم للسنن ألا تُعارض برأي ولا تُدافع بقياس، وما تأوله منها السلف تأولناه، وما عملوا به عملنا به، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا، ونتبعهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج من جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله، وكل ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه، وكله قول مالك فمنه ما هو منصوص من قول، ومنه ما هو معلوم من مذهبه». (الجامع في السنن والآداب والحكم ص١٣٧).

ومعلوم من سيرة الإمام مالك (رحمه الله) حرصه على اتباع السنة، وتعظيمه لمنهج السلف الصالح، ولأقوال الصحابة- رضوان الله عليهم-، وكان يرى أن

الخروج على هذا المنهج هو الفساد بعينه.

ولعباد بن عباد الشامي (رحمه الله) رسالة دقيقة جميلة تحمل هذا المعنى، وقد اشتملت على آداب جمة، وهي طويلة أنقل بعضها لنفاسة ما اشتملت عليه، يقول (رحمه الله):

«اعقلوا والعقل نعمة، فربَّ ذي عقل قد شغل قلبه بالتعمق فيما هو ضرر عليه عن الانتفاع بما يحتاج إليه، حتى صار عن ذلك ساهيًا، ومن فضل عقل المرء ترك النظر فيما لا نظر فيه حتى يكون فضل عقله وبالاً عليه في ترك مناقشة من هو دونه في الأعمال الصالحة، أو رجل شُغل قلبه ببدعة قلد فيها دينه رجالاً دون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو اكتفى برأيه فيما لا يرى الهدى إلا فيها، ولا يرى الضلالة إلا تركها بزعم أنه أخذها من القرآن، وهو يدعو إلى فراق القرآن، أفما كان القرآن حَمَلَةٌ قبله وقبل أصحابه يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه وكانوا منه على منار أوضح الطريق، وكان القرآن إمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إمامًا لأصحابه، وكان أصحابه أئمة لمن بعدهم رجال معروفون منسوبون في البلدان متفقون في الرد على أصحاب الأهواء.. اتقوا الله وما حدث في قرائكم وأهل مساجدكم من الغيبة والنميمة، والمشي بين الناس بوجهين ولسانين، وقد ذكر: أن من كان ذا وجهين في الدنيا كان ذا وجهين في النار... عليكم بالقرآن فأتموا به وأُمُّوا به، وعليكم بطلب أثر الماضين فيه، ولو أن الأحبار والرهبان لم يتقوا زوال مراتبهم، وفساد منزلتهم بإقامة الكتاب وتبيانه ما حرَّفوه ولا كتموه، ولكنهم لما خالفوا الكتاب بأعمالهم التمسوا أن يخدعوا قومهم عما صنعوا مخافة أن تفسد منازلهم، وأن يتبين للناس فسادهم، فحرَّفوا الكتاب بالتفسير، وما لم يستطيعوا تحريفه كتموه، فسكتوا عن صنع أنفسهم إبقاءً على منازلهم، وسكتوا عما صنع قومهم مصانعة لهم». (سنن الدارمي ١/ ١٦٦).

وقد اجتزأت بعضًا من هذه الرسالة مع طولها لنفاسة ما اشتملت عليه، فهي مع دعوة كاتبها ونصيحته بالاكتفاء بالقرآن والسنة بفهم ما كان عليه سلف الأئمة، أشار إلى طرف من أسباب البعد عن الحق والصواب، وهو الرغبة في المنزلة والمكانة بين الناس، وقد أصاب فيما ذكر- فرحمه الله تعالى-.

> اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها، أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنَّها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى.

والإمام الأشعري- رحمه الله تعالى- في مقدمة كتاب الإبانة الذي ألفه بعد رجوعه إلى مذهبه السلف، ذكر بعض الآيات المبينة لفضل ومكانة القرآن الكريم، وبعضًا من الأحاديث الموجبة لاتباع سنة النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، ثم عقب على ذلك بقوله: «فنبذ كثير ممن غلبت عليهم شقوته، واستحوذ عليهم الشيطان سنن نبي الله- عليه الصلاة والسلام، وراء ظهورهم، ومالوا إلى أسلاف لهم قلدوهم دينهم، ودانوا بديانتهم، وأبطلوا سنن نبي الله عليه الصلاة والسلام، ودفعوها وأنكروها وجحودها افتراء منهم على الله».

ثم ذكر بعضًا من أقوال أهل الزيغ والضلال، ثم ذكر ما يجب أن يكون عليه المسلم وما يدين هو لله به بعد رحلة طويلة مع المبتدعة، فقال: «قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبما روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل- نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف قوله مخالفون». (الإبانة عن أصول الديانة ص١٢- ٢٠).

وبعد هذا النقل عن الإمام الأشعري أقول لأتباعه: هذا إمامكم يدين لله بما ورد في الكتاب

> يا أيها الناصح لنفسه!! الزم هذا الطريق، واستمد من الله التوفيق، واصرف همتك إلى فهم القرآن والسنة، وليكن قصدك الوقوف على الحق، وموافقة الصواب، دون تعصب لمذهب، أو لفرقة من الفرق، أو لشيخ من الشيوخ، واستكثر يا عبد الله من القرآن والسنة، فهما الطريق لمن أراد سلوك أقوم طريق، وهما النجاة لمن طلب النجاة.

والسنة، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة المحدثين، فالزموا طريقه واسلكوا منهجه بعد عودته إلى منهج السلف الصالح.

وقال الإمام أبو نصر السجزي- رحمه الله-: «أهل السنة هم الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح- رحمهم الله- عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه رضي الله عنهم فيما لم يثبت فيه نص من الكتاب ولا عن الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنهم -رضي الله عنهم- أئمة، وقد أمرنا باقتداء آثارهم، واتباع سنتهم، وهذا أظهر مما يحتاج فيه إلى برهان». (رسالة السجزي، ص٩٩).

وقال الحافظ الذهبي- رحمه الله- بعد أن ساق بعضًا من الآيات المثبتة لعلو الله على خلقه: «فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف، فقف مع نصوص القرآن والسنة، ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات، وما حكوه من مذاهب السلف، فإما أن تنطق بعلم، وإما أن تسكت بحلم، ودع المراء والجدل». (مختصر العلو ص٨٠).

قلتُ: رحم الله الإمام الذهبي، فكأنه يتكلم لزماننا الذي خاض فيه الجاهلون ونطقوا بما لا يحسنون، وارتفعت أصواتهم بالباطل وهم لا يشعرون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وأحمد الله تبارك وتعالى أن نجانا من سلوك طريق المخالفين للكتاب والسنة، وسلف الأمة الصالحين من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان.

وقد قال أحد أئمتنا في أنصار السنة كلامًا يدل على هذا الطريق، وينسجم مع ما سبق من أقوال للعلماء الراسخين، وهو العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي- رحمه الله- الذي قال: «وقد تبين من ذلك أن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، وأن شعارها كتاب الله وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه سلف الأمة الذين يؤمنون بمحكم النصوص ويعملون بها، ويردون إليها ما تشابه منها، وأما الفرق الضالة فشعارها مفارقة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، واتباع الأهواء وشرع ما لم يأذن به الله من البدع والآراء الزائفة، بناء على أصول وضعوها يوالون عليها ويعادون، فمن وافقهم عليها أثنوا عليه وقربوه، وكان في زعمهم من أهل السنة والجماعة، ومن خالفهم تبرءوا منه، ونبذوه وناصبوه العداوة والبغضاء، وربما رموه بالكفر والخروج من ملة الإسلام لمخالفته لأصولهم الفاسدة». (منزلة التوحيد ص١١٢).

فيا أيها الناصح لنفسه!! الزم هذا الطريق، واستمد من الله التوفيق، واصرف همتك إلى فهم القرآن والسنة، وليكن قصدك الوقوف على الحق، وموافقة الصواب، دون تعصب لمذهب، أو لفرقة من الفرق، أو لشيخ من الشيوخ، واستكثر يا عبد الله من القرآن والسنة، فهما الطريق لمن أراد سلوك أقوم طريق، وهما النجاة لمن طلب النجاة، ورحم الإمام الآجري في قوله: «علامة من أراد الله به خيرًا سلوك هذا الطريق؛ كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنن الصحابة، رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد، إلى آخر ما كان من العلماء مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء». (الشريعة ٣٠١/١).

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من التابعين للسابقين بإحسان، وأن يحشرنا مع النبي المختار، غير مبدلين ولا مغيرين، وأن يكفينا شر الأشرار، وكيد الفجار، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

التحالف الإيراني الأمريكي.. ضد المسلمين السُنَّة!!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الصادق الأمين، وآله وأصحابه الغر الميامين.. وبعدُ:

تتعالى التصريحات والحرب الإعلامية بين إيران من طرف، والكيان الصهيوني والولايات المتحدة من طرف آخر، والمتطلع لتلك التصريحات يعتقد أن هناك عداء غير محدود بين الأطراف الثلاثة، وأن كل طرف ينتظر الوقت المناسب للانقضاض على الآخر، وتدميره، وكم سمعنا من تصريحات لقادة إيران على غرار: «ينبغي إزالة إسرائيل من على الخريطة»!! أو: «ينبغي عودة اليهود إلى مواطنهم»!!

وعلى صعيد آخر فقد مللنا من التصريحات الخادعة من قادة أمريكا، والكيان الصهيوني عن شن حرب وشيكة على طهران لتدمير برنامجها النووي، غير أن المتابع للأحداث على مر السنوات الماضية يدرك بما لا يدع مجالاً للشك، أن الثلاثة يروجون تصريحاتهم لمحاولة خداع الشعوب العربية، واكتساب شعبية في أوساط العرب المسلمين، خاصة من ناحية النظام الإيراني، والمتابع لشأن العلاقات الإيرانية الإسرائيلية سوف يجدها قديمة ومتجذرة بين الطرفين، منذ نظام الشاه، وحتى انقلاب الخميني، والتعاون والتنسيق بين أمريكا وإيران لاجتثاث السنة في العراق قد أسقط كل الأقنعة في الحرب على تنظيم ما يسمى بـ«داعش»، بل ومزقها تمامًا، وكأن التحالف الدولي كان هدفه الأول التمكين لزحف فارسي صفوي يحتل العراق، والأخطر أنه احتلال تطهيري لإبادة العرب السنة، والتمهيد للإمبراطورية الفارسية من باب المندب للبحر الأبيض، بعد تمكين الحوثيين في اليمن، والسيطرة على سورية بتواطئ أمريكي متذبذب المواقف في ظل انشغال عربي بما يحدث في منطقتنا، وكشفت إيران عن وجهها بعد أن ثبتت رجالها، وآخرهم الحوثيون في اليمن، وعلي عبد الله صالح، وإعلان مستشار روحاني: أن العراق جزء من إمبراطورية إيران، وقول علي شمخاني: إن إيران قد وصلت إلى البحر الأبيض وباب المندب، فهل تستيقظ الدول العربية والإسلامية لما يُدبر ضدها في الخفاء ويهدد أمنها القومي، وتوقف زحف الإمبراطورية الإيرانية، والمتحالفين معها قبل فوات الأوان؟!

حملة شيعية ضد شيخ الأزهر.. لدفاعه عن أهل السنة بالعراق!!

بينما يكشف الإيرانيون عن حقيقة ما يضمرونه للمسلمين عامة، والسنة على وجه الخصوص، فحسنًا فعل الإمام الأكبر بعد متابعة ما يقع من «ميلشيات الحشد الشعبي» المتحالفة مع الجيش العراقي مرتدية قناع الحرب على «داعش» واقتلاعها، وفي الوجه الآخر ترتكب ما تسمى «ميلشيات الحشد الشعبي» الشيعية جرائم ذبح واعتداء، وتعذيب ضد مواطنين عراقيين مسالمين، لا ينضمون إلى داعش ولا غيرها من التنظيمات المتواجدة على أرض العراق، وترتكب جرمًا وإرهابًا أسود ضد شعبها، وخاصة أهل السنة في العراق.

وكان فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قد طالب في الأيام الماضية «بضرورة التحرك العاجل لوقف المجازر التي تُرتكب ضد أهل السنة في العراق»، مضيفًا في بيان صدر عن فضيلته بخصوص تلك الأحداث المؤلمة: «إن تلك التنظيمات ترتكب جرائم بربرية نكراء في مناطق السنة التي بدأت القوات العراقية تسيطر عليها، خاصة في تكريت والأنبار وغيرها من المدن ذات الأغلبية السنية».

وقد شنَّت المرجعيات الدينية الشيعية في العراق حملة على فضيلة شيخ الأزهر، بعد ما انتقد ما وصفها بالمجازر بحق أهل السنة في العراق، والتي اتهم جماعات شيعية بارتكابها، فاتهمه البعض بتجاهل «جرائم داعش»!! ومن بين من ردَّ على شيخ الأزهر، وفقًا لما أوردته شبكة «س. إن. إن»، كان الشيعي المعروف «بشير النجفي» الذي وجه رسالة للشيخ الطيب عبر وسائل إعلام عراقية، دعاه فيها إلى «إيفاد لجنة تحقيق إلى العراق للتأكد من تلك المزاعم التي تروِّج لها داعش».

ومن جانبه ردَّ الدكتور عباس شومان، وكيل الأزهر، على الهجوم الشيعي قائلاً: «نحن نرحب بأي حروب أو جهود توجه ضد الإرهابيين وفي مقدمتهم «داعش»، وندعو في ذات الوقت إلى تحاشي الانتقام من المدنيين؛ لأننا نرفض الربط بين «داعش» و«السنة»، مؤكدًا على أنه يتابع بقلق شديد ما ترتكبه ما تسمى «ميلشيات الحشد الشيعي» الشيعية المتحالفة مع جيش العراق من مذابح واعتداء ضد مواطنين أبرياء، لا ينضمون لأي تنظيم إرهابي».

بينما خرجت وكالة الأنباء الإيرانية «مهر» شبه الرسمية، في هجمة لرئيس تحريرها «حسن هاني زاده» هاجمت بقسوة الدول العربية ومن وصفتهم بـ«العربان»، ودعت العراق للوحدة مع إيران لأسباب طائفية وتاريخية، وحثت العراقيين على ترك العروبة المزيفة الجاهلية وتراب الذل العربي، وتغيير ملابسهم بعيدًا عن الدشداشة، والكوفية».

وتابع رئيس الوكالة الإيرانية تصريحاته التي اتسمت بالوقاحة والتعالي في حديثه، الذي يأتي بعد اجتياح بغداد وعلى إثر تصريحات إيرانية في الأيام الأخيرة «بأن العراق عاصمة للإمبراطورية الإيرانية» بالإشادة بالمجموعات العسكرية الإيرانية الشيعية لتحرير العراق، بينما قادة العرب متناسون ومنصرفون عن العراق!!

الإرهاب الشيعي في العراق يدفع العمريين لتغيير أسمائهم!!

بينما الأحداث تتلاحق في منطقتنا من كل فج عميق، مما يهدد أمننا القومي، تتمادى إيران في تنفيذ مخططاتها في المنطقة، وتشعل إيران الطائفية البغيضة، وتجعلها معولاً لتفكيك الدول، وزيادة نفوذها في كل دولة من دول المنطقة العربية بل والإفريقية.

فاليوم تزعم أنها تحارب «داعش» في العراق وسوريا، وفي الحقيقة إن إيران هي أحد الأسباب الرئيسة في نشأة «داعش» وتمدده حيث حول الدور الإيراني في العراق الجيش الوطني إلى جيش طائفي، وارتكبت ميلشيات المالكي مجازر دامية، ومارست قمعًا ضد العراقيين السُنَّة، وخلقت بيئة شيعية حاضنة لداعش في عدد من المناطق السنية، أدت لاستيلاء داعش على حوالي ثلث مساحة العراق، وبدأ الإرهاب الإيراني الطائفي المستمر يأخذ شكلاً جديدًا تحت اسم «قوات الحشد الشعبي» الشيعية، التي ترفع شعار حرب داعش، بينما تمارس التنكيل والإبادة ضد العرب السُنَّة، وتنتقم منهم بإحراق منازلهم، وسلب أموالهم.

وفي غفلة من المسلمين، وصمت عما يقع لأهل السنة في العراق، أصبح مجرد التسمي باسم «أبو بكر»، أو «عُمر»، سببًا ومبررًا لقتله، حتى وصل الحال أن تقدم ثلاثة آلاف مواطن عراقي ممن يحملون اسم «عمر» بطلبات لتغيير أسمائهم بعد استهدافهم طائفيًا بسبب اسم «عمر الفاروق».

وعمليات الخطف على الهوية من الميلشيات والأشخاص الذين يرتدون

زيًا رسميًا مستمرة، وتتم بإيقاف المدنيين العراقيين في نقاط التفتيش، وفحص بطاقات هويتهم، ثم اعتقالهم في سجون سرية، أو قتلهم في المكان الذي تم إيقافهم فيه، وازدادت هذه الحالات مؤخرًا بشكل كبير في مناطق بغداد، وحزامها الجنوبي، وكذلك في محافظة «ديالى» السنية، وخاصة «بعقوبة».

لقد أصبح اسم الشخص (من أهل السنة) يحمل له حكمًا بالإعدام في شوارع العاصمة العراقية، هكذا يقول مراسل «التايمز البريطانية»، حيث ذكر أنه في يومين وصل إلى المشرحة المركزية في بغداد حوالي ٤١ قتيلاً، معظمهم برصاص في الرأس، وأوضح أن من تم التعرف على هويتهم كانت أسماؤهم تساعد على تفسير سبب قتلهم.

وأضاف المصدر: «كان (عُمر) هو الاسم الأكثر شيوعًا بينهم، ثم أبو بكر، مشيرًا إلى تقارير حول مقتل ثمانية أشخاص يحملون اسم (عمر) في منطقتي: «الرصافة» و«الكرخ».

يحدث هذا في العراق بفعل إيران، بينما العالم يغض الطرف، ويصدق مزاعمها بأنها تحارب «داعش»، وتنقذ العراق والعالم من الإرهاب، بينما هي تمارس الجرائم التي يرتكبها داعش!!

ويبدو أن ضوءًا أخضر أمريكيًا لإيران قد مكنها من إدخال هذه القوات لأول مرة لوسط العراق تحت غطاء محاربة تنظيم الدولة الإسلامية، هذا التدخل العسكري المباشر والصريح يمثل تغييرًا عميقًا في التحركات الإيرانية من أجل تعزيز النفوذ الشيعي على المستوى الإقليمي، فأمريكا قد خلقت فراغًا استراتيجيًا خطيرًا في الشرق الأوسط بعد حربها على العراق وأفغانستان، وملأت هذا الفراغ عن طريق أذرعها العسكرية والسياسية والاقتصادية، وها هي تنتقل من طور التدخل غير المباشر من خلال التوجيه والتخطيط والتمويل إلى طور التدخل المباشر بالقوة العسكرية، بداية من أوائل ديسمبر ٢٠١٤م، بقيام طائراتها بقصف مواقع تنظيم «داعش» في محافظة ديالى، عبر المنطقة العازلة والتي اصطنعتها إيران لنفسها إلى الحدود العراقية.

وهذا المنهج الإيراني العسكري الجديد يسلط الضوء على التقاء المصالح بين أمريكا وإيران، وبشكل غير عادي في كل من العراق وسوريا، حيث تحارب طهران وواشنطن العدو نفسه وبشكل علني.

ولعدة أشهر، تَحرُّك إيران قوتها العسكرية في جميع أنحاء المنطقة بصورة غير مباشرة، حيث عرضت تسليح الجيش اللبناني، ودعمت المتمردين الحوثيين الشيعة في اليمن، الذين سيطروا على العاصمة صنعاء، وفي سوريا أنقذ حزب الله (المدعوم من إيران، وفيلق القدس الإيراني)، بشار الأسد من السقوط والانهيار، وفي العراق برز اللواء قاسم سليماني، قائد فيلق القدس، كشخصية عامة مع نشر صور له في ساحات المعارك، ولكن يبقى أن التحول البارز في استراتيجية إيران الأكثر إثارة للانتباه كان في العراق، حيث يعترف المسئولون الأمريكيون بالدور الحاسم للميلشيات المدعومة من إيران، وخصوصًا في حماية بغداد من هجمات داعش، والعمل مع الحملة الجوية التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية!!

إن ثمة مصالح مشتركة بين إيران وأمريكا في إضعاف داعش الذي سيؤدي تلقائيًا إلى تقوية إيران، سواء في العراق أو في سوريا، ويرسم بوادر «نظام إقليمي جديد» تشغل فيه إيران مكانًا متقدمًا بتأييد ودعم كاملين من واشنطن.

وكانت ممارسات المالكي الطائفية المدعومة دعمًا كاملاً من إيران، وجرائم الأمريكان في فترة الحرب على العراق، كانت من أهم أسباب ظهور تنظيم ما يسمى بالدولة الإسلامية، حتى بايعه الكثيرون في العراق من زعماء وشيوخ قبائل وحتى المجموعات المسلحة بيعة قتال، ليس قناعة بمنهجه وإنما ليواجهون به جيش المالكي الإجرامي الطائفي.

وثيقة التآمر الأمريكي الإيراني لإسرائيل

وإذا كنا نتحدث عن إيران، وأطماعها في المنطقة، وتحالفاتها مع أمريكا والكيان الصهيوني، فإننا لا نستغرب تلك التصرفات، فإيران تخطط لأطماعها في المنطقة منذ أمد بعيد، وقد كانت أخطر وثيقة سميت بـ «وثيقة الفتنة» للتوقيع على احتلال العراق وإبادة العرب، وثيقة سرية محددة التداول، نشرتها جريدة المحرر العربي في عددها الصادر، برقم (٦٤٨)، ونشرها رضا جواد الوائلي، من الحوزة الشيعية للنجف، وقد وقع على تلك الوثيقة لاحتلال العراق وتقسيمه، وإبادة العرب السنة، قائمة توقيعات من ستة وثلاثين مرجعًا شيعيًا، اتفقوا على بنود سرية خطط لها في جمهورية إيران (الإسلامية) تبدأ برقم (١) عبد الهادي الفضلي،

وتنتهي برقم (٣٦) الميرزا كمال الدين الحائري الإحقاقي، لا يتسع المجال لنشر كل الأسماء الموقعة عليها، وكان من أهداف الوثيقة:

١- التحالف مع قوى الاستكبار العالمي «الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل» على إسقاط (جمجمة) العرب «العراق، لأنه معروف لدينا في المرجعيات العلمية أنه بسقوط العراق يسقط العرب، ويقضي على مذهب السنة، وهذا نتفق فيه مع اليهود لإقامة دولة (صاحب الزمان الحجة).

٢- التحالف مع الأكراد «الكيولية» وتوجيه نيرانهم على إخوانهم في مذهب الضلالة، وبالتالي فالقاتل والمقتول هو مكسبٌ لنا، والنار والحطب من جسد واحد!!

٣- أن لحكام الكويت من آل الصبّاح الشرفاء دوراً كبيراً في مساعدة شيعة أهل البيت، وهي أكثر دول التي قدمت ومدت يد العون لنا في حربنا على تصفية العرب السنة، وإسقاط الدولة العربية السنية في العراق، وأن الكويت مهمة جدًا لنا، حيث ستكون المفتاح إلى الجزيرة والخليج الفارسي.

٤- إن إقامة دولة صاحب الزمان والقضاء على النواصب من السنة؛ لا يتم إلا بالقضاء على الدولة في العراق، وإشاعة التخريب والفوضى، وإبادة أكبر عدد من العرب السنة، وإرهاب الباقي كي يتحولوا إلى المذهب الحق، ويتبعوا سيرة الأئمة المعصومين، كما قام بذلك السيد إسماعيل الصفوي، رحمه الله، والذي حوَّل إيران وبلاد فارس إلى المذهب الحق، مذهب الشيعة الرباني.

٥- تهيئة دستور وانتخابات وسحب رموز وقيادات عربية إلى أتون البرلمان، وشراؤهم والعمل على تشيعهم لتكون أمام العالم دولة ديمقراطية، ذات دستور وسيادة وبرلمان، وأن جميع المراجع يعتبرون هذا واجباً دينياً لا يعلو. عليه واجب.

٦- أن الجهاد الأكبر هو في القضاء على العرب الرعاع، ومذهبهم الضال، وإعادة الخلافة المسلوبة إلى أهلها بعد غياب دام لأكثر من ١٤٠٠ عام، وهي واجب ديني يعتمده مراجع أهل البيت ومقلديهم.

٧- يحرم مقاتلة قوى الاستكبار العالمي التي حررت البلاد والعباد، وإنما هي أداة بيد المرجعية، ولها واجبات قادمة أرسلها لنا الله، ومن يقاتل بالسلاح قوات التحالف فإنه خارج عن ملتنا نحن أهل البيت، ولا يوجد بيننا وبينهم أي عداء، وإنما هم مستكبرون في الأرض وهم كالثور في يد الفلاح، يحرث به الأرض، ونحن- بإذن الله- نوجههم لمحاربة النواصب، وُعدنا بذلك، فسينادي في أقصى الشرق مناد ليقول: هل من سُني ناصبي؟ وينادي كذلك في أقصى الغرب مناد: هل من سُني ناصبي لأنحر ثغره؟ فلا مجيب!!

٨- يعمل المراجع العظام على نشر التشيع بجميع وسائله، والاعتماد على الإعلام وشراء القنوات الفضائية والصحف، ودفع الهدايا للمسئولين العرب في جميع الدول العربية، لفرض تحييدهم أمام المد الإلهي، ودفع النساء والبنات من مذهب أهل البيت للتزوج من المسئولين، وهذا بمثابة الجهاد الأكبر لإقامة دولة الحق، وتحرير بلاد العرب من الفكر والمذهب..الناصبي.

٩- التثقيف العام نحو الإرهاب، واستغلال الإعلان العالمي الذي تقوده دولة الاستكبار في محاربة الإرهاب، ووضع العرب السنة في هذه الخانة؛ كي يقضى عليهم، وإلصاق تهم الإرهاب في كل عمل تقوم به القوات القائمة على تأسيس دولة الإمام الحجة، وإثارة الشارع الشيعي ضد الإرهاب «العرب السنية من النواصب» وبذلك حقق لنا الأئمة المعصومون ما وعدونا به، من أن إمبراطورية الاستكبار ستكون خاتمًا في يد مراجعنا العظام، ليقضوا بها على دولة النواصب «العرب السنة»، ويعيدون الحق المغتصب إلى أهل البيت.

١٠- دعم الانشقاقات في الجسد العرب وفي العراق، وجميع البلدان العربية، وتقوية ضعفاء العرب السنة، ودعمهم ماليًا وإعلاميًا؛ لأنهم أداة بيد مراجعنا العظام، ودفعهم إلى البرلمان العراقي، والبرلمانات العربية.

وختامًا نقول: إنها إيران الحقيقية دون قناع، تعمل على تفعيل الوثيقة مع حلفائها أمريكا وإسرائيل، التي تبدو بينهم حالة التوتر المستمر، خلافًا للحقيقة، إنها التقية!! فهل نظل صامتين، حتى تكون العراق عاصمة للإمبراطورية الإيرانية كما أعلنوا؟!

فاللهم انصر أهل السنة في كل مكان، اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إعداد/
د. عبد العظيم بدوي

سورة الزخرف

قال تعالى: «وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ (١١) وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ (١٢) لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ (١٣) وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ (١٤) وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ (١٥) أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ (١٨) وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ» (الزخرف: ١١-١٩).

«وَالَّذي نَزَّلَ منَ السَّماء ماءً بقدرٍ فأنشرْنا به بلدةً ميْتًا كذلك تُخرَجُونَ» يقول تعالى: الله الَّذي خلقَ السَّموات والأرْض هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مَهْدًا، وَجَعَلَ لكُمْ فيهَا سُبُلًا، وَهُوَ الَّذي نَزَّلَ منَ السَّماء ماءً بقدر، لا يَزيدُ فَيُهْلكَ وَيُدمِّرَ، وَلَا يَنْقُصُ عَنِ الْحاجة فَيُصيبُهُمُ الْجدْبَ وَالْقَحْط. قَالَ الْحكَمُ -رَحمَهُ اللَّه-: مَا منْ عَام بأكْثَرَ مَطرًا منْ عَام آخَرَ، وَلَكنَّهُ يُمْطَرُ قَوْمٌ وَيُحْرَمُ قَوْمٌ آخَرُونَ، وَرُبَّمَا كَانَ في الْبَحْر، يَعْني أنَّ اللَّه تَعَالَى يُنْزِلُ الْمطرَ كُلَّ عَام بقدَرٍ مَعْلوم، غَيْرَ أنَّهُ يَصْرفُهُ إلَى مَنْ يَشَاءُ حَيْثُ شَاءَ كَمَا شَاءَ. (التفسير الكبير (١٩/ ١٧٨)).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا» أَيْ أَحْيَيْنَا بِالْمَطَر الأرْضَ بَعْدَ مَوْتهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ» (الحج: ٦٣)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ» أيْ كَمَا أَحْيَيْنَا الأرْضَ بَعْدَ مَوْتهَا بالماء، فَنَبَتَ النَّبَاتُ وَخَرَجَ منْ تَحْتَ الأرْض، كَذَلكَ تُخْرَجُونَ أَنْتُمْ أيْضًا يَوْمَ الْخُرُوج:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ». قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّه منَ السَّماء مَاءً. فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ

لَيسَ منَ الإنْسَانِ شَيْءٌ إلاَّ يَبْلَى إلاَّ عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (صحيح البخاري ٤٨١٤).

وَقَدْ شَبَّهَ الله تَعَالَى خُرُوجَ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِخُرُوجِ النَّبَاتِ مِنَ الأرْضِ، وَجَعَلَ إحْيَاءَ الأرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا دَلِيلاً عَلَى إحْيَاءِ الْمَوْتَى، في أكثر من آية:

قَالَ تَعَالَى: «وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ» (الحج: ٥- ٧)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (فصلت: ٣٩)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ» (ق: ٩- ١١).

«وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ»:

يَقُولُ تَعَالَى: الله الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ الأزْوَاجَ كُلَّهَا، «مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ» (يس: ٣٦)، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَتِه، كَمَا أنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِه، وَلِذَلِكَ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ» (يس: ٣٦)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (الذاريات: ٤٩)، فَتَعْلَمُوا أنَّ خَالِقَ الأزْوَاجِ وَاحِدٌ فَرْدٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ» (سورة الإخلاص):

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عنه قَالَ الْوِتْرُ لَيْسَ بِحَتْمٍ كَصَلاَتِكُمُ الْمَكْتُوبَةِ وَلَكِنْ سَنَّ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَقَالَ: «إنَّ الله وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ» (صحيح سنن الترمذي:٤٥٣).

وَالله الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ هُوَ الَّذِي «جَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ» وَالْفُلْكُ السُّفُنُ، وَالأَنْعَامُ الإبِلُ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهَا سَفِينَةَ الصَّحْرَاءِ، وَكَانَ سَفَرُهُمْ بَرًّا أَوْ بَحْرًا، وَلَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ السَّفَرَ بِالْجَوِّ، «لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِه ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْه»، قَوْلُهُ: «لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِه» تَوْطِئَةٌ وَتَمْهِيدٌ لِلإِشَارَةِ إِلَى ذِكْرِ نِعْمَةِ الله في قَوْلِه: «ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْه» أَيْ حِينَئِذٍ، فَإِنَّ ذِكْرَ النِّعْمَةِ في حَالِ التَّلَبُّسِ بِمَنَافِعِهَا أَوْقَعُ في النَّفْسِ وَأَدْعَى لِلشُّكْرِ عَلَيْهَا. وَأَجْدَرُ بِعَدَمِ الذُّهُولِ عَنْهَا، أَيْ جَعَلَ لَكُمْ ذَلِكَ نِعْمَةً لِتَشْعُرُوا بِهَا فَتَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا، فَالذِّكْرُ هُنَا هُوَ التَّذَكُّرُ بِالْفِكْرِ لا الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ.

وَهَذَا تَعْرِيضٌ بِالْمُشْرِكِينَ إِذْ تَقَلَّبُوا في نِعَمِ الله وَشَكَرُوا غَيْرَهُ، إِذِ اتَّخَذُوا لَهُ شُرَكَاءَ في الإلَهِيَّةِ، وَهُمْ لَمْ يُشَارِكُوهُ في الأَنْعَامِ.

وَذِكْرُ النِّعْمَةِ كِنَايَةٌ عَنْ شُكْرِهَا، لأَنَّ شُكْرَ الْمُنْعِمِ لازِمٌ لِلإِنْعَامِ عُرْفًا، فَلا يَصْرِفُ عَنْهُ إِلاَّ نِسْيَانُهُ، فَإِذَا ذَكَرَهُ شَكَرَ النِّعْمَةَ.

وَعَطَفَ عَلَى تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ قَوْلَهُ: «وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا» أَيْ لِتَشْكُرُوا الله في نُفُوسِكُمْ، وَتُعْلِنُوا بِالشُّكْرِ بِأَلْسِنَتِكُمْ، فَلَقَّنَهُمْ صِيغَةَ شُكْرٍ عِنَايَةً بِه، كَمَا لَقَّنَهُمْ صِيغَةَ الْحَمْدِ في سُورَةِ الْفَاتِحَةِ، وَصِيغَةَ الدُّعَاءِ في آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

وَافْتَتَحَ هَذَا الشُّكْرَ اللِّسَانِيَّ بِالتَّسْبِيحِ لأَنَّهُ جَامِعٌ لِلثَّنَاءِ، إِذِ التَّسْبِيحُ تَنْزِيهُ الله عَمَّا لا يَلِيقُ، فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى التَّنْزِيهِ عَنِ النَّقَائِصِ بِالصَّرِيحِ، وَيَدُلُّ ضِمْنًا عَلَى إِثْبَاتِ الْكَمَالاتِ لِلَّه في الْمَقَامِ الْخِطَابِيِّ. وَاسْتِحْضَارُ الْجَلالَةِ بِطَرِيقِ الْمَوْصُولِيَّةِ لِمَا يُؤْذِنُ بِه الْمَوْصُولُ مِنْ عِلَّةِ التَّسْبِيحِ، حَتَّى يَصِيرَ الْحَمْدُ الَّذِي

أفاده التسبيح شكرًا، لتعليله بأنه في مقابلة التسخير لنا.

«وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» أي مطيقين، أي بمجرد القوة الجسدية، أي لولا التسخير المذكور، فجملة «وما كنا له مقرنين» في موضع الحال من ضمير لنا، أي سخرها لنا في حال ضعفنا، بأن كان تسخيره قائمًا مقام القوة. (التحرير والتنوير (٢٥/١٧٤و١٧٥)).

قال أبو عبيدة -رحمه الله- فلان مقرن لفلان، أي ضابط له.

قال الواحدي -رحمه الله-: وكأن اشتقاقه من قولك ضرب له قرنًا، ومعنى أنا قرن لفلان، أي مثاله في الشدة، فكأن المعنى أنه ليس عندنا من القوة والطاقة أن نقرن هذه الدابة والفلك وأن نضبطها، فسبحان من سخرها لنا بعلمه وحكمته وكمال قدرته. (مفاتيح الغيب (٢٧/٢٠٠)).

«وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» أي راجعون، وهو إقرار بالرجوع إلى الله، وبالبعث، لأن الراكب في مظنة الهلاك بالغرق إذا ركب الفلك، وبعثور الدابة، إذ ركوبها أمر فيه خطر، ولا تؤمن السلامة فيه. فقوله هذا تذكير بأنه مستشعر الصيرورة إلى الله، ومستعد للقائه، فهو لا يترك ذلك من قلبه ولا لسانه. (البحر المحيط في التفسير (٨/٧و٨)).

هذا هو الأدب الواجب في حق المنعم، يوجهنا الله إليه، لنتذكره كلما استمتعنا بنعمة من نعمه التي تغمرنا، والتي نتقلب بين أعطافها. ثم ننساه.!

والأدب الإسلامي في هذا وثيق الصلة بتربية القلب وإحياء الضمير. فليس هو مجرد طقوس تزاول عند الاستواء على ظهور الفلك والأنعام، ولا مجرد عبارات يتلوها اللسان! إنما هو استحياء للمشاعر لتحس بحقيقة الله، وحقيقة الصلة بينه وبين عباده، وتشعر بيده في كل ما يحيط بالناس، وكل ما يستمتعون به مما سخره الله لهم، وهو محض الفضل والإنعام، بلا مقابل منهم، فما هم بقادرين على شيء يقابلون به فضل الله. ثم لتبقى قلوبهم على وجل من لقائه في النهاية لتقديم الحساب. وكل هذه المشاعر كفيلة باستبقاء القلب البشري في حالة يقظة شاعرة حساسة لا تغفل عن مراقبة الله، ولا تجمد ولا تتبلد بالركود والغفلة والنسيان. (في ظلال القرآن (٧/٣٢٠)).

عن علي بن ربيعة قال: شهدت عليًا رضي الله عنه أتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله ثلاثًا فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله ثم قال: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» ثم قال: الحمد لله ثلاثًا، والله أكبر ثلاثًا، سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم ضحك. فقلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت ثم ضحك، فقلت: من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال: «إن ربك ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب غيرك». (صحيح سنن الترمذي: ٣٤٤٦).

إن الإنسان لكفور:

مع وضوح الأدلة الدالة على التوحيد، وأن الله واحد لا شريك له، وأنه المتفرد بالخلق والإنعام، فقد كفر به أكثر الناس، «وجعلوا له من عباده جزءًا» أي ولدا، لأن الولد جزء أبيه، كما أن الفرع جزء الأصل، «وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ» (المؤمنون: ٩٠- ٩١)، «بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (الأنعام: ١٠١).

«إن الإنسان» الكافر «كفار» جحود لنعم الله «مبين» ظاهر الكفران.

وَقَدْ أَعْظَمُوا عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، فَجَعَلُوا لَهُ وَلَدًا، وَجَعَلُوا الْوَلَدَ أُنْثَى، فَقَالَ تَعَالَى: «أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين» يَعْنِي سُبْحَانَهُ: إِذَا كَانَ هُوَ خَالِقَ الذَّكَرِ وَالأُنْثَى، «وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ» (آل عمران: ٣٦)، بَلِ الذَّكَرُ أَفْضَلُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ» (النساء: ٣٤)، فَكَيْفَ يَصْطَفِي لِنَفْسِهِ الْمَفْضُولَ، وَيَخُصُّكُمْ بِالأَفْضَلِ؟ «أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا» (الإسراء: ٤٠)، «فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ (١٥٠) أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ» (الصافات: ١٤٩-١٥٧).

وَهَذَا إِنْكَارٌ عَلَيْهِمْ غَايَةَ الإِنْكَارِ. ثُمَّ ذَكَرَ تَمَامَ الإِنْكَارِ، فَقَالَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: «وإذا بُشِّرَ أحدُهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم» أَيْ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ بِمَا جَعَلُوهُ لِلَّهِ مِنَ الْبَنَاتِ يَأْنَفُ مِنْ ذَلِكَ غَايَةَ الأَنَفَةِ، وَتَعْلُوهُ كَآبَةٌ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ، وَيَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ خَجَلِهِ مِنْ ذَلِكَ، يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: فَكَيْفَ تَأْنَفُونَ مِنْ ذَلِكَ وَتَنْسُبُونَهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. (تفسير ابن كثير (٤/١٢٥)).

وَقَدْ تَوَعَّدَهُمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى وَصْفِهِمْ هَذَا بِالنَّارِ، فَقَالَ تَعَالَى: «وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ» (النحل: ٦٢).

«أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ»:

هَذَا مِنْ تَمَامِ الإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ فِيمَا جَعَلُوهُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الْوَلَدِ، وَهُوَ كَمَا سَبَقَ أَنَّ الذَّكَرَ أَفْضَلُ مِنَ الأُنْثَى وَأَكْمَلُ، وَمِنْ نُقْصَانِ الأُنْثَى أَنَّهُمْ يُحَلُّونَهَا مُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهَا بِالْحُلِيِّ وَالزِّينَةِ، وَذَلِكَ لِنَقْصِهَا الظَّاهِرِ، ثُمَّ هِيَ فِي الْجِدَالِ وَالْمُنَاظَرَةِ لَا تَكَادُ تُبِينُ، وَذَلِكَ مِنْ نَقْصِهَا الْبَاطِنِ، فَكَيْفَ جَعَلُوهَا لِلَّهِ دُونَهُمْ؟!.

«وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا» أَيْ قَالُوا الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، «سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ» (الصافات: ١٥٩)، فَمَا هُوَ مُسْتَنَدُهُمْ؟ إِنَّ هَذَا الأَمْرَ لَا مَجَالَ لِلاجْتِهَادِ فِيهِ، بَلْ لَابُدَّ فِيهِ مِنْ دَلِيلٍ، وَالدَّلِيلُ هُوَ الْمُشَاهَدَةُ أَوِ النَّقْلُ، «أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ»؟! كَلَّا، وَلَا أَبُوهُمْ آدَمُ شَهِدَ خَلْقَهُمْ، لأَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانُوا قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَصِفِ الْمَلَائِكَةَ فِي كِتَابِهِ بِذُكُورَةٍ أَوْ أُنُوثَةٍ، فَهُمْ إِذَنْ مُفْتَرُونَ، «سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ» (الأنعام: ١٣٨)، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: «**سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**» أَيْ سَتُكْتَبُ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» (ق: ١٧-١٨)، وَسَيُسْأَلُونَ عَنْ هَذِهِ الشَّهَادَةِ كَمَا يُسْأَلُونَ عَنْ غَيْرِهَا مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «**عِبَادُ الرَّحْمَنِ**» قِرَاءَةٌ أُخْرَى: «عِنْدَ الرَّحْمَنِ»، وَالْقِرَاءَتَانِ صَحِيحَتَانِ، فَالْمَلَائِكَةُ عِبَادُ الرَّحْمَنِ، وَهَذِهِ حَقِيقَتُهُمْ، وَهُمْ عِنْدَهُ، وَهَذِهِ مَكَانَتُهُمْ، قَالَ تَعَالَى: «وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ (٢٨) ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ» (الأنبياء: ٢٦-٢٩)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩» (فصلت: ٣٧-٣٨).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

التمويل بالتورق

الحلقة الأخيرة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ،
لا يزال الحديث متصلاً عن التمويل بالتورق، وكنا قد تحدثنا في الأعداد السابقة عن حكم التورق في المذاهب الفقهية، وبدأنا الحديث عن مناقشة تلك الآراء والترجيح بينها، ونكمل في هذا العدد - بعون الله تعالى- فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ د. علي السالوس

الخاتمة والنتائج

في ختام هذا البحث، الذي أسأل الله تعالى أن يكون خالصًا لوجهه، وأن يجعله في ميزان الحسنات، في ختامه أحب أن اذكر بما يأتي:

١- التورق بمعناه الشائع في عصرنا لم أجده في كتب اللغة، ولا عند الأئمة الأربعة، ولا من جاء بعدهم ببضعة قرون، وأول من وجدته مستخدما لهذا اللفظ هو شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم استخدم اللفظ بعد ذلك بعض فقهاء الحنابلة.

٢- معنى العينة: الربا، والسلف، والبيع أو الشراء بنسيئة، وأن يشتري الشيء بأكثر من ثمنه إلى أجل، ثم يبيعه منه أو من غيره بأقل مما اشتراه.
وهذا يعني أن التورق يدخل تحت معنى العينة.
ومن الألفاظ التي استخدمت مرادفة للعينة كلمة: الزرنقة.

٣- حديث النهي عن العينة توسعت في تخريجه، وظهر أنه صحيح، وحديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها فيما وقع من زيد بن الأرقم في شراء ثم بيع العينة ذكرت تصحيحه سندًا ومتنًا، والرد على من قال بعدم صحة السند أو المتن.

٤- كل معاني العينة يشملها حديث النهي إلا ما دل الدليل على غير ذلك؛ أي أن الأصل في المعاملات الإباحة لا ينطبق على هذه المعاني، ولا يجوز الاحتجاج به.

٥- الإمام الشافعي أجاز العينة بجميع معانيها ماعدا الربا المحرم، ورد حديث السيدة عائشة، ولم يبلغه حديث النهي عن العينة، ولو بلغه صحيحًا فما كان ليعدل عنه؛ فقد ذكر ذات مرة حديثا وقال بصحته، فسأل سائل: أو تفتي به يا أبا عبد الله؟ فقال غاضبًا: يا هذا! أرأيتني خارجًا من كنيسة؟!

أرأيت في وسطي زنارًا؟! أقول حديثًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أفتي به!
ولذلك وقفت طويلاً مع الشافعية، وذكرت من أقوالهم ما يبين أن العقد قد يكون صحيحًا عندهم، ويحكمون بالتحريم مع الصحة.

٦- المذهب الحنفي يمنع العينة بلا خلاف إذا رجع المبيع للبائع الأول، أما العينة بمعنى التورق ففيها خلاف، ففي المبسوط والهداية والدر المختار المنع دون ذكر أن أحدًا من أئمة الحنفية أجازه، وجاء في حاشية ابن عابدين، القول بالتغليظ فيه عن محمد بن الحسن، وبينت ترجيح أن يكون المراد من إجازة أبي يوسف البيع الآجل دون التورق، بل البيع الآجل مع السماحة، وذكرت دلائل هذا الترجيح.

كما رجحت ألا يكون الإمام أبو حنيفة ممن أجاز التورق. أما ما جاء في الفتح من أنه خلاف الأولى فوضحت أنه رأي شخصي وليس بيانًا لمذهب، وهو من متأخري الحنفية، وذكرت بيان ابن القيم فيما غلط فيه المتأخرون على الأئمة الأعلام.

وبالنسبة للإمامين مالك وأحمد فقد نقلت ما يثبت أن هذا التورق يعتبر من العينة المنهي عنها. وبذلك يتضح أن من الخطأ ما جاء في موسوعة الفقه الكويتية وغيرها في بعض الأبحاث من أن جمهور الأئمة يجيزون التورق.

٧- التورق المصرفي الذي يجعل وظيفة البنك الذي يطبقه هي وظيفة البنك الربوي وليس الإسلامي بينت أنه ربا صريح محرم لا ينطبق عليه قول ابن عباس (رضي الله عنهما) دراهم بدراهم متفاضلة بينهما حريرة، فحتى هذه الحريرة غير المقصودة، والتي جعلت حيلة للوصول إلى الربا، حتى هذه الحريرة غير موجودة!

وبينت هذا من خطوات التطبيق، ومن الواقع العملي من خلال خبرتي الطويلة في مجال عمل البنوك الإسلامية.

وقد أفتى مجمع فقه الرابطة بأن التورق المصرفي يعتبر من الربا المحرم، ودعا المصارف الإسلامية إلى عدم التعامل به.

فإذا كان التورق المصرفي هو البديل للقروض فبئس البديل، وبئس المبدل منه. ولا حاجة إذن لبنوك تسمى إسلامية.

٨- قلب الدَّيْن يعني تطبيق القاعدة الجاهلية إما أن تقضي وإما أن تربي، وهي من أشد أنواع الربا تحريمًا، ومع ذلك وجد ثلاثة من الإخوة الذين ينتسبون إلى العلم يجيزون هذا الربا الواضح الجلي إذا كان المدين غير معسر!! وكأن الربا الذي جاء الترهيب منه لم يأت في غيره قاصر على المدين المعسر.

ولو صح هذا فلا يجوز أن نقول بأن فوائد البنوك من الربا المحرم، فمنها ما هو أقل تحريمًا وبشاعة من قلب الدين.

والله عز وجل هو الهادي إلى سواء السبيل وهو سبحانه وتعالى المستعان، وله الحمد في الأولى والآخرة، وصلى الله وسلم على رسوله المصطفى.

تعقيب اللجنة العلمية بالمجلة على بحث التورث (نصيحة في اتقاء الشبهات)

مسألة التورق من المسائل التي ثار الجدل حولها، وهي وغيرها من مسائل المعاملات التي يختلف حولها أهل العلم، وينبغي على المسلم الاحتياط لنفسه فيها، ولذلك نورد هذه النصيحة:

عَن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ - رَضيَ اللهُ عنهُما - قالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يقولُ: «إنَّ الحلالَ بَيِّنٌ وإنَّ الحرَامَ بَيِّنٌ، وبَينَهُما أُمُورٌ مُشتَبِهاتٌ، لا يَعلَمُهنَّ كثيرٌ من النَّاس، فَمَن اتَّقى الشُّبهاتِ استبرأ لدينِه وعرضِه، ومَنْ وَقَعَ في الشُّبهاتِ وَقَعَ في الحَرَامِ، كالرَّاعي يَرعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يَرتَعَ فيه، ألا وإنَّ لكُلِّ مَلكٍ حِمًى، ألا وإنَّ حِمَى اللهِ محارِمُهُ، ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضغَةً إذا صلَحَتْ صلَحَ الجَسَدُ كلُّه، وإذا فَسَدَتْ

فسدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلبُ» (متفق عليه)، ومسلم ٥/٥٠ (١٥٩٩).

قال ابن رجب الحنبلي: معناه: أنَّ الحلال المحض بيِّنٌ لا اشتباه فيه، وكذلك الحرامُ المحض، ولكن بين الأمرين أمورٌ تشتبه على كثير من الناس، هل هي من الحلال أم من الحرام؟.

وقد فسَّر الإمام أحمد الشبهة بأنَّها منزلةٌ بين الحلال والحرام، يعني: الحلالَ المحض والحرام المحض، وقال: من اتَّقاها، فقد استبرأ لدينه، وفسَّرها تارةً باختلاط الحلال والحرام.

وبكل حال فالأمور المشتبهة التي لا تتبين أنَّها حلال ولا حرام لكثير من الناس، وكلام النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - يدلُّ على أنَّ هذه المشتبهات منَ النَّاس من يعلمُها، وكثيرٌ منهم لا يعلمها، فدخل فيمن لا يعلمها نوعان:

أحدهما: من يتوقَّف فيها ؛ لاشتباهها عليه.

والثاني: من يعتقدُها على غير ما هي عليه.

وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «فمن اتَّقى الشُّبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقعَ في الشُّبهَات، وقع في الحرام» قسَّم النَّاس في الأمور المشتبهة إلى قسمين، وهذا إنَّما هو بالنسبة إلى من هي مشتبهة عليه، وهو ممن لا يعلمها، فأمَّا مَنْ كان عالماً بها، واتَّبع ما دلَّه علمهُ عليها، فذلك قسمٌ ثالثٌ، لم يذكره لظهور حكمه، فإنَّ هذا القسم أفضلُ الأقسام الثلاثة ؛ لأنَّه علمَ حكمَ الله في هذه الأمور المشتبهة على النَّاس، واتَّبع علمَه في ذلك. وأما من لم يعلم حكم الله فيها، فهم قسمان: أحدهما من يتقي هذه الشبهات (لاشتباهها عليه) فهذا قد استبرأ لدينه وعرضه.

ومعنى استبرأ: طلب البراءة لدينه وعرضه منَ النَّقص والشَّين، والعرض: هو موضعُ المدح والذَّمِّ من الإنسان، وما يحصل له بذكره بالجميل مدحٌ، وبذكره بالقبيح قدحٌ، وقد يكون ذلك تارةً في نفس الإنسان، وتارةً في سلفه، أو في أهله، فمن اتَّقى الأمور المشتبهة واجتنبها، فقد حَصَّنَ عِرْضَهُ منَ القدح والشَّين الداخل على من لا يجتنبها، وفي هذا دليل على أنَّ من ارتكب الشُّبهات، فقد عرَّض نفسه للقدح فيه والطَّعن، كما قال بعض السَّلف: من عرَّض نفسه للتُّهم، فلا يلومنَّ من أساء به الظنَّ.

القسم الثاني: من يقع في الشبهات مع كونها مشتبهةً عنده، والذي يأتي الشبهات مع اشتباهها عليه، فقد أخبر عنه النَّبيُّ - صلى الله عليه وسلم - أنَّه وقع في الحرام.

وقال أحمد: لا يشبعُ الرَّجل منَ الشُّبهة، ولا يشتري الثوبَ للتَّجمُّل من الشُّبهة.

وقال الثوري في الرجل يجد في بيته الأفلُسَ أو الدَّراهم: أحبُّ إليَّ أنْ يتنزَّه عنها، يعني: إذا لم يدر من أين هي. وكان بعضُ السَّلف لا يأكلُ إلا شيئاً يعلمُ من أينَ هو، ويسألُ عنه حتَّى يقفَ على أصله. وقد رُويَ في ذلك حديثٌ مرفوعٌ، إلا أنَّ فيه ضعفاً.

وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «كالرَّاعي يرعى حولَ الحمى يُوشكُ أنْ يرتعَ فيه، ألا وإنَّ لكلِّ ملك حمى، وإنَّ حمى الله محارمه»: هذا مَثَلٌ ضربه النَّبيُّ - صلى الله عليه وسلم - لمن وقع في الشُّبهات، وأنه يقرُب وقوعه في الحرام المحض، وفي بعض الروايات أنَّ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - قال: «وسأضرب لذلك مثلاً»، ثم ذكر هذا الكلامَ، فجعل النَّبيُّ - صلى الله عليه وسلم - مثلَ المحرمات كالحمى الذي تحميه الملوكُ، ويمنعون غيرهم من قُربانه.

والله - عز وجل - حمى هذه المحرَّمات، ومنع عباده من قربانها وسمَّاها حدوده، فقال: «تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ»، وجعل منْ يرعى حول الحمى، أو قريباً منه جديراً بأنْ يدخُل الحمى ويرتع فيه، فكذلك من تعدَّى الحلال، ووقع في الشُّبهات، فإنَّه قد قارب الحرام غايةَ المقاربة، فما أخلقَهُ بأنْ يُخالطَ الحرامَ المحضَ، ويقع فيه، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّه ينبغي التباعد عن المحرَّمات، وأنْ يجعل الإنسان بينه وبينها حاجزاً. (جامع العلوم والحكم ص٧٠).

وبالله تعالى التوفيق.

باب السنة

المال النافع والعمل الصالح

إعداد / د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد،

فإن المتابع لما يدور على ساحة الأرض وفي جنبات الدنيا ليرى إلحاحًا أن نكتب لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم، والدفاع عن السنة؛ فالقيام بهذا الدور أصبح من عبادة الوقت، ومجلة التوحيد لا يمكن أن تغفل هذا طاعةً لله، ثم طمأنة لإخواننا لكننا اتخذنا لأنفسنا منهجا بعيدا عن الردود والمناظرات وهو أصل في دعوتنا نتواصى به؛ ولأن حجم المتاح في مجلتنا الغراء لا يسمح بمعالجة كل أهداف الكاتب أو حاجيات القارئ، ومراعاة واجب الوقت ، فكانت هذه العبادة من خلال بيان جهود علماء الحديث عبر حديث الباب وذلك كل شهر ما أمكن، وينضاف إليه ما ييسره الله لنا من مباحث أخر حول حديث الشهر:

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله)؟ قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه. قال: (فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر).

المفردات:

(أحب إليه) أكثر حرصًا عليه. (ما قدم) صرفه في حياته في مصارف الخير. (ما أخَّر) ما ادخره حتى مات وتركه لوارثه.

التخريج:

- هذا الحديث رواه الإمام البخاري بهذا اللفظ برقم (٦٠٧٧) في كتاب الرقاق، باب ما أنفق من ماله فهو له (٥/٢٣٦٦)، قال حدثني عمرو بن حفص حدثني أبي حدثنا الأعمش قال حدثني إبراهيم التيمي عن الحارث بن سويد قال عبد الله (أي ابن مسعود رضي الله عنه) وذكره.

- ورواه النسائي بمعناه (٢٣٧/٦) في (الكراهة في تأخير الوصية) برقم (٣٦١٢) بترقيم أبي غدة.

رجال الإسناد:

١- عمر بن حفص بن غياث بن طلق: من شيوخ البخاري ثقة ربما وهم من العاشرة روى له خ م د ت س . (تقريب التهذيب: ص٤١١).

٢- حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي أبو عمر الكوفي القاضي، ثقة فقيه تغير حفظه قليلاً في الآخر، روى له الجماعة. (تقريب التهذيب: ص١٧٣).

٣- سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي أبو محمد الكوفي الأعمش ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع، لكنه يدلس روى له الجماعة. (تقريب التهذيب: ص ٢٥٤).

٤- إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، يكنى أبا أسماء الكوفي العابد ثقة إلا أنه يرسل ويدلس، روى له الجماعة. (تقريب التهذيب: ص ٩٥).

٥- الحارث بن سويد التيمي أبو عائشة الكوفي ثقة ثبت. (تقريب التهذيب: ص ١٤٦).

٦- عبدالله: هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

فائدتان من الإسناد:

ظاهرة توريث الدين علما وعملا في حياة السلف: وهذه نستفيدها من قول عمر بن حفص حدثني أبي فأبوه حفص بن غياث هو الذي حدثه، وهو الذي ورثه هذا الدين، وهي فائدة تكلمنا عليها في الحلقة الماضية، ونؤكد عليها لعلتين:

أولاهما: أننا عرجنا عليها في المرة الماضية على عجالة؛ وذلك لضيق المقام.

والسبب الثاني: هو أهميتها في صلاح هذه الأمة - من وجهة نظري-.

فيقين الآباء أن نجاة أبنائهم الحقيقية إنما تكون في تعبيدهم لرب العالمين، وأنه لا فلاح ولا نجاح لهم في الدنيا والآخرة إلا في اتباعهم هدي سيد المرسلين؛ لو أيقن الآباء هذا لعكفوا ليل نهار على دفع أبنائهم إلى هذا علما وعملا فهمًا وتطبيقًا دعوةً وهمًا لتبليغ هذه الدعوة، لا لشيء إلا لأنهم آمنوا أن فلاحهم ونجاحهم هم وفلذات أكبادهم فيما ذكرنا.

لذا وجدنا من أسلافنا من يؤلف رسالة خاصة لولده في مثل هذا المعنى تنطق بما في قلبه تجاه فلذة كبده كما فعل ابن الجوزي في كتابه (لفتة الكبد في نصيحة الولد) قال ص٢ مخاطبًا ولده: (اعلم يا بني وفقك الله أنه لم يميِّز الآدميَّ بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك وأعمِل فكرَك، واخلُ بنفسك، تعلمْ بالدليل أنك مخلوق مكلف وأن عليك فرائض أنت مطالب بها، وأن الملكين عليهما السلام يحصيان ألفاظك ونظراتك، وأن أنفاسَ الحي خطوات إلى أجله، ومقدارَ اللبث في الدنيا قليل، والحبسَ في القبور طويل، والعذابَ على موافقة الهوى وبيل، فأين لذة أمس؟ قد رحلَتْ وأبقَت ندمًا، وأين شهوة النفس؟ نكّسَت رأسًا وأزلَّت قدمًا.

وما سعِد مَن سعد إلا بمخالفة هواه، ولا شقِي مَن شقي إلا بإيثار دنياه، فاعتبر بمن مضى من الملوك والزهاد، أين لذة هؤلاء وأين تعبُ أولئك ؟ بقي الثواب الجزيل والذكرُ الجميلُ للصالحين، والمقالةُ القبيحة والعقاب الوبيل للعاصين، وكأنه ما شبع مَن شبع، ولا جاع مَن جاع.

ثم اعلم أن طلَبَ الفضائل نهايةُ مراد المجتهدين، ثم الفضائلُ تتفاوت، فمن الناس مَن يرى الفضائلَ الزهدَ في الدنيا، ومنهم مَن يراها التشاغلَ بالتعبد، وعلى الحقيقة فليست الفضائلُ الكاملةُ إلا الجمعُ بين العلم والعمل، فإذا حُصِّلا رفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى، وحرّكاه إلى محبته وخشيته والشوق إليه، فتلك الغاية القصوى، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، وليس كل مريد مرادًا، ولا كل طالب واجدًا، ولكن على العبد الاجتهاد، وكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له، والله المستعان(ا.هـ كلامه).

وقد وجدنا هذه الظاهرة في حياة هؤلاء، فمعنا اليوم عمر بن حفص شيخ البخاري ورث العلم من أبيه حفص بن غياث، وكان معنا قبل ذلك محمد بن فليح، وأبوه فليح بن سليمان، وفي سير السلف الكثير من أمثال هؤلاء كالإمام أحمد وبنيه رحمهم الله، وكالشافعي وابنه، وأبو حاتم وابنه، وتفنى الصفحات ولا تنتهي مثل هذه النماذج التي أدركت الحقيقة؛ فعبَّدت أبناءها لرب العالمين، فهلا اقتفينا أثر هؤلاء؟!

الإمام الأعمش ظاهرة تحتاج إلى دراسة:

إننا لن نسهب في ترجمة الأعمش كعَلَم من أعلام أصحاب الحديث ونقلة الشرع الشريف، لكننا سنقف في سيرته على عبارة له وعليه، ألا وهي قول الحافظ السالف ذكره في التقريب: (ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع، لكنه يدلس)، وقد يشعر الناظر نظرا سريعا أن أول العبارة الذي هو مدح يناقض آخرها الذي هو وصف بالتدليس (والذي هو إخفاء عيوب الحديث) ولكننا أردنا من بيان هذه العبارة أن نؤكد على شرف علماء الحديث.

أولاً: لبيان مكانة الأعمش بين علماء الحديث نؤكد على كلام الحافظ ابن حجر بكلام الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٢٦/٦) عندما ترجم للأعمش قائلا: هو الإِمَامُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، شَيْخُ المُقْرِئِيْنَ وَالمُحَدِّثِيْنَ، أَبُو مُحَمَّدٍ... الحَافِظُ،...قَالَ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ: كَانَ الأَعْمَشُ أَقْرَأَهُم لِكِتَابِ اللهِ، وَأَحْفَظَهُم لِلْحَدِيْثِ، وَأَعْلَمَهُم بِالفَرَائِضِ. وَقَالَ يَحْيَى القَطَّانُ: هُوَ عَلاَّمَةُ الإِسْلاَمِ.

وَقَالَ وَكِيْعُ بنُ الجَرَّاحِ: كَانَ الأَعْمَشُ قَرِيْباً مِنْ سَبْعِيْنَ سَنَةً لَمْ تَفُتْهُ التَّكْبِيْرَةُ الأُوْلَى.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ الخُرَيْبِيُّ: مَا خَلَفَ الأَعْمَشُ أَعْبَدَ مِنْهُ...

قَالَ عِيْسَى بنُ يُوْنُسَ: لَمْ نَرَ نَحْنُ مِثْلَ الأَعْمَشِ، وَمَا رَأَيْتُ الأَغْنِيَاءَ عِنْدَ أَحَدٍ أَحقَرَ مِنْهُم عِنْدَهُ مَعَ فَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ.

قُلْتُ (أي:الذهبي): كَانَ عَزِيْزَ النَّفْسِ، قَنُوعاً، وَلَهُ رِزْقٌ عَلَى بَيْتِ المَالِ، فِي الشَّهْرِ خَمْسَةُ دَنَانِيْرَ،

قُرِرَتْ لَهُ فِي أَوَاخِرِ عُمُرِه.
قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ: كَانَ الأَعْمَشُ يَعْرِضُ القُرْآنَ، فَيُمْسِكُونَ عَلَيْهِ المَصَاحِفَ، فَلاَ يُخْطِئُ فِي حَرْفٍ.
قلت (أي: الكاتب): ومع كل ما سبق من مدح الذهبي له من نقله لقول الإمام أحمد فيه فقال الذهبي: قَالَ عَلِيُّ بنُ سَعِيْدٍ النَّسَوِيُّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ يَقُوْلُ: مَنْصُوْرٌ أَثْبَتُ أَهْلِ الكُوْفَةِ، فَفِي حَدِيْثِ الأَعْمَشِ اضْطِرَابٌ كَثِيْرٌ.) ا.هـ من سير الأعلام بتصرف.
وما سبق إن دل فإنما يدل على نقاء ورقي وتثبت هؤلاء الجهابذة أصحاب الحديث وأهل الإسناد؛ فلا يغرنهم كل ما شهدوا به للأعمش أن يسموه بالتدليس، ولا يحجبهم كونه مدلسا من شهادة حق يدلون بها تبين مكانته بينهم كما سبق أن بينا فهؤلاء الأسلاف كصيارفة الذهب يعرفون كيف يميزون الصالح من غيره..
وسؤالنا الآن فلماذا أخرج له البخاري وهو مدلس؟
الجواب: هذا أيضا مما يدل على مكانة علماء الحديث عامة، والبخاري خاصة؛ فلم يأخذوا الأحكام على علتها بل من إنصافهم وحرصهم على حفظ السنة والدفاع عنها نظروا في أحوال المدلسين، فكان من شأنهم أن قسموهم إلى خمس مراتب (كما ذكره ابن حجر في كتاب طبقات المدلسين ص١٣):
وجعل منهم من يقبل تدليسه ومنهم من لا يقبل تدليسه.
وبعد النظر إلى هذه المراتب نجد أن ابن حجر قد جعل الأعمش من الطبقة الثانية: أي ممن احتمل الأئمة تدليسهم، وأخرجوا لهم في الصحيح؛ لإمامتهم وقلة تدليسهم بجنب ما رووا؛ لذا أخرج له البخاري في الصحيح، فالبخاري يعرف عمن يأخذ حديث رسول الله، فليس في دين الله مجاملة لأحد؛ لأن الناقل لحديث رسول الله والذي عليه تنبني الأحكام وجوانب الشريعة إنما هو مُبلغ عن رب العباد، فمن أثبت حديثا فقد أثبت دينا ومن عطل حديثا وأنكره فقد عطل دينا فكيف يجهل البخاري رحمه الله هذا؟ بل وسيرة الأعمش نفسه في تأديبه لطلابه (كشعبة وابن عيينة والثوري) وتعليمهم كيفية التحمل والتحري لكلام رسول الله تملأ الدواوين، بل ربما ضُرب به المثل في هذا؛ فلتراجع في مظانها.
من أجل هذا نقول: إن للبخاري والأعمش وأمثالهم في عنقنا دَيْنًا يجب علينا الوفاء به، فقد عانوا في نقل صحيح السنة إلينا، نعم قاموا بهذا الجهد للنجاة بأنفسهم لكن الذي لا يشكر الناس على معروفهم لا يشكر الله، فهل بعد هذا المعروف الذي صنعوه لنا نفرط في عِرض هؤلاء لمن سبهم وتجرأ عليهم؟! أمن المعروف والشهامة أن ننكر الجميل؟! إن أقل ما يقدم إلى هؤلاء الجهابذة من أسلافنا الكرام نقلة الدين والداعين إليه هو أن نجعل من دعائنا قسطا معروفا لهم بما قدموه لنا من معروف قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (الرحمن: ٦٠).

الشرح

(قوله باب ما قدم من ماله فهو له):
أي هذا باب في بيان حال من قدم أي الإنسان المكلف من ماله فهو له؛ يجد ثوابه يوم القيامة والمراد بالتقديم صرف ماله قبل موته في مواضع القربات.
- قوله (أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله): أي إن الذي يخلفه الإنسان من المال وإن كان هو في الحال منسوبا إليه فإنه باعتبار انتقاله إلى وارثه يكون منسوبا للوارث فنسبته للمالك في حياته حقيقية ونسبته للوارث في حياة المورث مجازية، ومن بعد موته حقيقية، فالنبي صلى الله عليه وسلم يسأل: أيكم يحب المال الذي سيموت ويتركه لوارثه أكثر من حبه للمال الذي ينسب إليه هو في حياته يستمتع به وينفق منه بل وينفق منه على ورثته ولكن في حياته؟
- قوله (فإن ماله ما قدم) أي هو الذي يضاف إليه في الحياة وبعد الموت بخلاف المال الذي يخلفه فإنه مال وارثه ينتفع به من بعده. انظر: فتح الباري - ابن حجر (١١ /٢٦٠).

ما يستفاد من الحديث:
١- الحث على الإنفاق في أوجه الخير.
قال ابن بطال وغيره عند شرح الحديث: فيه التحريض على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في وجوه القربة والبر لينتفع به في الآخرة، وسيأتي مزيد بيان لهذه الفائدة لأنها لب الحديث.

٢- تأصيل مهم:
إننا لا يمكن أن نحيا بغير مال، فهو قوام الحياة، وهذا أمر مسلَّم به؛ لذا أمر الله عز وجل بالسعي لتحصيله كما قال تعالى: (فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ) (الملك: ١٥)، لكننا ننبه على ضوابط شرعية في هذا المسلك:

أ- الله تبارك وتعالى أخبر أن تحصيل المال إما بطريق طيب وإما بطريق محرم، فأباح الله لنا تحصيله عن طريق الطيبات، وحرم الله علينا تحصيله عن طريق ما حرمه من وسائل.

ب- أن الإنسان كما سيحاسب على ماله من أين اكتسبه؟ من حلال أم من حرام؟ فكذلك سيسأل فيم أنفقه؟ كما قال صلى الله عليه وسلم: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه) (رواه الترمذي من حديث أبي برزة وقال حسن صحيح).

ج- الإنسان لا يمكن أن يشبع مهما جُلب له من المال، فحري به أن يتحرى الحلال أولا، وألا يعطله كسب المال عن قضية العبودية ثانيا، بل يجعل هذا المال وسيلة لتحقيقها وليضع نصب عينيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب).

إذن فليس المراد من حديث الشهر أن نعرض عن الدنيا أو نتنسك، ولكن المراد هو أن ننزل الدنيا منزلتها الحقيقية فنجعلها بلاغًا للآخرة فتكون بما فيها من مال وبنين وجاه إنما هي لتحصيل التقوى وتحقيق العبودية وصيانة الدين لا العكس.

الإسلام دين الشمولية (إشكال وجوابه)

إننا نرى في تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه منهج الشمولية وهو المنهج الإسلامي في كل مناحي الدين فنحن إذا جمعنا الأحاديث بعضها إلى بعض عرفنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجنح تارة إلى ما تتعلق به النفوس ويتحدث عن الأموال، كهذه الأحاديث الذي اختارها البخاري في كتاب الرقاق، وتارة يتحدث عن النوافل في الصلوات وكأن الدين ليس فيه إلا صلاة، وتارة عن حق الجار، وأخرى عن حق الضيف، وهكذا فلا بد من النظر إلى السنة النبوية من خلال هذه النظرة الشمولية بالجمع بين أبوابها.

ومن هنا يأتي الجواب سؤال من قال: كيف نجمع بين حديث هذا الشهر وبين قوله صلى الله عليه وسلم لسعد رضي الله تعالى عنه: (إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس) عندما أراد سعد بن أبي وقاص أن يتصدق بماله كله، بل وبوّب البخاري على هذا الحديث باب: أَنْ يَتْرُكَ وَرَثَتَهُ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَكَفَّفُوا النَّاسَ.

قلنا كما بيّن ابن بطال (١٦٢/١٠) في شرحه على حديث الشهر: لا تعارض بينهما؛ لأن سعدًا أراد أن يتصدق بماله كله في مرضه، وكان وارثه بنته ولا طاقة لها على الكسب فأمره أن يتصدق منه بثلثه ويكون باقيه لابنته وبيت المال، وحديث الباب إنما خاطب به أصحابه في صحتهم وحرضهم على تقديم شيء من مالهم لينفعهم يوم القيامة، وليس المراد منه أن تقديم جميع ماله عند مرضه؛ فإن ذلك حرمان للورثة وتركهم فقراء يسألون الناس وإنما الشارع جعل له التصرف في ماله بالثلث فقط). اهـ كلام ابن بطال.

ولذلك نؤكد أننا لا نقصد أبدًا أن نؤصل لخلق القسوة واللامبالاة بالورثة بل أردنا أن ندرك حقيقة العلاقة بين المرء ودنياه بكل ما فيها ولا يدهش المرء إن قرأ قول الشاعر على لسان رجل تخيل أنه قد مات، فقال:

تمرُّ أقاربي جنبات قبري
كأنَّ أقاربي لا يعرفوني
وذو الميراث يقتسمون مالي
ولا يألون إن جحدوا ديوني!!
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا
فيا لله أسرع ما نسوني!!

فمن أدرك هذا فليقدم لنفسه من ماله ما يحب؛ فإنه إذا قدمه كان له بين يديه، ينتفع به في دار الإقامة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحلقة (٢٩)

إعداد/ علي حشيش

٣٠٣ - «لَيْسَ الأَعْمَى مَنْ يَعْمَى بَصَرُهُ، إنَّمَا الأَعْمَى مَنْ تَعْمَى بَصِيرَتُهُ».

الحديث لا يصح: أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٢٧/٢) (ح١٣٧٢) من حديث عبد الله بن جراد مرفوعًا، وآفته يعلى بن الأشدق، قال ابن عدي في «الكامل» (٢٨٧/٧) (٢١٨٦/١٣٣): يعلى بن الأشدق العقيلي الجزري يكنى أبا الهيثم يروي عن عمه عبد الله بن جراد عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة مناكير وهو وعمه غير معروفين، حدثنا الجنيدي قال: حدثنا البخاري قال: يعلى بن الأشدق لا يكتب حديثه، وما أظن أن لعمه صحبه. اهـ. وقال الذهبي في «الميزان» (٩٨٣٣/٤٥٦/٤): قال أبو زرعة: ليس بشيء، وقال ابن حبان: وضعوا له أحاديث فحدث بها ولم يدر. اهـ.

كذا قاله ابن حبان في «المجروحين» (١٤٢/٣) ثم ختم ترجمته فقال: لا يحل الرواية عنه بحال ولا الاحتجاج به ولا كتابته إلا للخواص عند الاعتبار.

٣٠٤- «إذا ابتغَيتُم المعروفَ فاطلُبوه عندَ حسان الوُجوه».

الحديث لا يصح: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٥/٧) (ح١٠٨٧٦) من حديث عبد الله بن جراد مرفوعًا وعلته يعلى بن الأشدق وقد بينا حاله آنفًا ونزيد أيضًا قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٠٣/٩): سألت أبي عن يعلى بن الأشدق فقال: «ليس بشيء ضعيف الحديث»، وقال: سُئل أبو زرعة عن يعلى بن الأشدق فقال: «هو عندي لا يصدق ليس بشيء». اهـ.

٣٠٥- « كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَشَّحُ بِبُرْدَتِه، فَيَعْقِدُهَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِه، ثُمَّ يُصَلِّي فِيهَا ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٨٧/٧) من حديث عبد الله بن جراد وآفته يعلى بن الأشدق وهو كما بيناه آنفًا، ونزيد: بعد أن أخرج ابن عدي هذا الحديث وغيره قال: «وهذه الأحاديث عامتها مناكير غير محفوظة». اهـ.

٣٠٦- «سَيِّدُ إِدَامِكُمُ المِلْحُ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجة في «السنن» (٣٣١٥) من حديث أنس بن مالك، وعلته عيسى بن أبي عيسى الخياط، قال ابن حبان في «المجروحين» (١١٧/٢): «كان سيئ الفهم والحفظ كثير الوهم فاحش الخطأ استحق الترك لكثرته». وذكره الذهبي في «الميزان» (٦٥٦٩/٣٢٠/٣)، وجعل هذا الحديث من منكراته، وقال الفلاس والنسائي: متروك.

٣٠٧- «حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي».

الحديث لا يصح: قال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (٢٥٠/١): علمه بحالي يغني عن سؤالي، حكاية عن الخليل عليه السلام، قال ابن تيمية: موضوع. قلت: قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥٣٩/٨): «أما قوله: حسبي من سؤالي علمه بحالي فكلام باطل» (٢/ حديث). اهـ.

فائدة: بل ثبت ما يدل على نكارة هذا الكلام، ما أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح٤٥٦٣) من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين ألقي،

وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» (آل عمران:١٧٣).

٣٠٨- «كُلُوا الْبَلَحَ بِالتَّمْرِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا رَآهُ، قَالَ: عَاشَ ابْنُ آدَمَ حَتَّى أَكَلَ الْجَدِيدَ بِالْخَلَقِ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجة في «السنن» (ح٣٣٣٠) من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعًا، وأخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/٤٢٧/٢٠٥٥) وقال: أما حديث هشام بن عروة فلا يعرف إلا به- يعني يحيى بن محمد بن قيس وهو آفته وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٣/١٢٠) وقال: وهذا كلام لا أصل له من حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال الشهاب في «زوائد ابن ماجة» (٣/٨٩) (ح١١٤٨) هذا إسناد فيه أبو زكير يحيى بن محمد بن قيس وهو ضعيف وقال النسائي هذا حديث منكر. اهـ.

٣٠٩- «إِنَّ مِنْ الإِسْرَافِ أَنْ تَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَيْتَ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجة في «السنن» (ح٣٣٥٢) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا، وعلته نوح بن ذكوان وأخرج هذا الحديث ابن حبان في «المجروحين» (٣/٤٧) وقال: نوح بن ذكوان منكر الحديث جدًا، وأورد هذا الحديث الذهبي في «الميزان» (٤/٢٧٦/٩١٣٤) وجعله من منكراته، وقال أبو حاتم: نوح ليس بشيء، وقال ابن عدي: أحاديثه ليس محفوظه». اهـ.

٣١٠- «لَا تَدَعُوا الْعَشَاءَ وَلَوْ بِكَفٍّ مِنْ تَمْرٍ؛ فَإِنَّ تَرْكَهُ يُهْرِمُ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجة في «السنن» (ح٣٣٥٥) من حديث جابر مرفوعًا، وعلته إبراهيم بن عبد السلام بن عبد الله بن باباه المخزومي المكي، قال ابن عدي في «الكامل» (١/٢٥٩/٩١) ليس بمعروف، حدث بالمناكير وعندي أنه يسرق الحديث.

٣١١- «تَعَشَّوْا، وَلَوْ بِكَفٍّ مِنْ حَشَفٍ، فَإِنَّ تَرْكَ الْعَشَاءِ مَهْرَمَةٌ».

الحديث لا يصح: أخرجه الترمذي في «السنن» (ح١٨٥٦) من حديث عنبسة بن عبد الرحمن القرشي عن عبد الملك بن علاّق عن أنس بن مالك مرفوعًا، قال أبو عيسى: هذا حديث منكر لا نعرفه إلا من هذا الوجه وعنبسة يضعف في الحديث وعبد الملك بن علاق مجهول، قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/٤٠٢/٢٢٤٧): سألت أبي عن عنبسة بن عبد الرحمن القرشي فقال: هو متروك الحديث كان يضع الحديث. وأقره الذهبي في «الميزان» (٣/٣٠١/٦٥١٢)، وقال البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٨٧): «تركوه»، وبهذا يتبين أن هذا الحديث الذي آفته هذا الوضاع المتروك لا يصلح شاهد لحديث جابر الذي آفته من يحدث بالمناكير ويسرق الحديث كما هو مقرر عند أهل الصناعة الحديثية والحَشَف: «اليابس الفاسد من الثمر». قاله ابن الأثير في «غريب الحديث والأثر» (ص٢١٠).

٣١٢- «مَن عَلَّم أَخَاه آيَةً مِنْ كِتَابِ الله مَلَكَ رِقَّه».

الحديث لا أصل له: أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٨/١٢٦)، وقال: «هذا كذب ليس في شيء من كتب أهل العلم».

الحلقة الأولى

حقائق عن اليهود

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أرسله ربه هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فإن القرآنَ الكريمَ والسُّنَّة المباركة لم يتركا أمراً يتعلق بحقيقة اليهود إلا وبيَّناه بياناً شافياً، من أجل ذلك أحببت أن أذكرَ نفسي وإخواني الكرام ببعض الحقائق الهامة والثابتة عن اليهود، حتى نكون جميعاً على حذرٍ من خطرهم، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

(١) اليهود أكثر الناس تطاولاً على الله تعالى:

* قال الله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) (التوبة:٣٠).

* قال جلَّ شأنه: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) (البقرة:٥٥).

* وقال سُبحانه: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا

إعداد/ صلاح نجيب الدق

إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (آل عمران:١٨١).

* قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) (المائدة:٦٤).

* قال جلَّ شأنه: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) (المائدة:٢٤:٢٥).

(٢) اليهود أكثر الناس كذباً على الله تعالى:

قال جلَّ شأنه: (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران:٧٨).

* قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): يُخبِرُ

تعالى عن اليهود، عليهم لعائن الله، أن منهم فريقا يحرفون الكلم عن مواضعه ويبدلون كلام الله، ويزيلونه عن المراد به، ليوهموا الجهلة أنه في كتاب الله كذلك، وينسبونه إلى الله، وهو كذب على الله، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله؛ ولهذا قال: (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (تفسير ابن كثير جـ٣صـ٩٧).

وقال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٨٠).

(٣) اليهود أكثر الناس تطاولاً على الملائكة:

* قال سبحانه: (مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ) (البقرة:٩٨).

* عن ابن عباس، قال: أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن، عرفنا أنك نبي واتبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه، إذ قالوا: الله على ما نقول وكيل، قال: « هاتوا » (وذكر منها) قالوا: ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر، فأخبرنا من صاحبك؟ قال:» جبريل عليه السلام «، قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر، لكان فأنزل الله عز وجل: (من كان عدوا لجبريل) إلى آخر الآية. (حديث حسن، مسند أحمد جـ:٤ صـ:٢٨٥ حديث: ٢٤٨٣).

(٤) اليهود أهل غدر وخيانة ولا عهد لهم:

* قال تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) (المائدة:١٣).

* قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): أخبر تعالى عما أحل باليهود من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقه ونقضهم عهده، فقال: (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) أي: فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم، أي أبعدناهم عن الحق وطردناهم عن الهدى، (وجعلنا قلوبهم قاسية) أي: فلا يتعظون بموعظة لغلظها وقساوتها. (تفسير ابن كثير جـ٥صـ١٣٤).

* وقال سبحانه: (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (البقرة:١٠٠).

* يهود خيبر يحاولون قتل النبي صلى الله عليه وسلم:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود » فجمعوا له، فقال: « إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟ »، فقالوا: نعم، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: « من أبوكم؟ »، قالوا: فلان، فقال: « كذبتم، بل أبوكم فلان »، قالوا: صدقت، قال: « فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟ »، فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال لهم: « من أهل النار؟ »، قالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا »، ثم قال: « هل أنتم صادقي عن شيء

إنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِم، قَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟»، قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ. (البخاري حديث: ٣١٦٩).

* يهود بني قريظة ينقضون العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم:

خَرَجَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ النَّضْرِيُّ، حَتَّى أَتَى كَعْبَ ابْنَ أَسَدٍ الْقُرَظِيَّ، صَاحِبَ عَقْدِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَعَهْدِهِمْ، وَكَانَ قَدْ وَادَعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى قَوْمِهِ، وَعَاقَدَهُ عَلَى ذَلِكَ وَعَاهَدَهُ، فَلَمَّا سَمِعَ كَعْبٌ بِحُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ أَغْلَقَ دُونَهُ بَابَ حِصْنِهِ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ، فَنَادَاهُ حُيَيٌّ: وَيْحَكَ يَا كَعْبُ! افْتَحْ لِي، قَالَ: وَيْحَكَ يَا حُيَيُّ: إِنَّكَ امْرُؤٌ مَشْئُومٌ، وَإِنِّي قَدْ عَاهَدْتُ مُحَمَّدًا، فَلَسْتُ بِنَاقِضٍ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَلَمْ أَرَ مِنْهُ إِلَّا وَفَاءً وَصِدْقًا، قَالَ وَيْحَكَ افْتَحْ لِي أُكَلِّمْكَ، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ أَغْلَقْتُ دُونِي إِلَّا عَنْ جَشِيشَتِكَ (طعام يصنع من القمح) أَنْ آكُلَ مَعَكَ مِنْهَا، فَأَغْضَبَهُ، فَفَتَحَ لَهُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا كَعْبُ، جِئْتُكَ بِعِزِّ الدَّهْرِ وَبِبَحْرٍ طَامٍ (أي مُرْتَفِع، وَيُرِيد كَثْرَةَ الرِّجَال)، جِئْتُكَ بِقُرَيْشٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا، قَدْ عَاهَدُونِي وَعَاقَدُونِي عَلَى أَنْ لَا يَبْرَحُوا حَتَّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ. فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ: جِئْتَنِي وَاللَّهِ بِذُلِّ الدَّهْرِ، وَيْحَكَ يَا حُيَيُّ! فَدَعْنِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا صِدْقًا وَوَفَاءً. فَلَمْ يَزَلْ حُيَيٌّ بِكَعْبٍ حَتَّى سَمَحَ لَهُ، عَلَى أَنْ أَعْطَاهُ عَهْدًا مِنْ اللَّهِ وَمِيثَاقًا: لَئِنْ رَجَعَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ، وَلَمْ يُصِيبُوا مُحَمَّدًا أَنْ أَدْخُلَ مَعَكَ فِي حِصْنِكَ حَتَّى يُصِيبَنِي مَا أَصَابَكَ. فَنَقَضَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ عَهْدَهُ، وَبَرِئَ مِمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. (سيرة ابن هشام جـ٢صـ٢٢٠: ٢٢٢).

(٥) اليهود أصل الفساد في الأرض:

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة:٦٤).

* قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): قَوْلُهُ تَعَالَى: (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا الله) أَيْ: كُلَّمَا عَقَدُوا أَسْبَابًا يَكِيدُونَكَ بِهَا، وَكُلَّمَا أَبْرَمُوا أُمُورًا يُحَارِبُونَكَ بِهَا يُبْطِلُهَا الله وَيَرُدُّ كَيْدَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَيَحِيقُ مَكْرُهُمُ السَّيِّئُ بِهِمْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَالله لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) أي: مِنْ سَجِيَّتِهِمْ(أي طبيعتهم) أَنَّهُمْ دَائِمًا يسعون في الإفساد في الأرض، والله لا يُحبُّ مَنْ هذه صفتُهُ. (تفسير ابن كثير جـ٥صـ٢٨١).

(٦) اليهود يعرفون الحق وينكرونه:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:٨٩).

* روى ابنُ جرير الطبري عَن ابْن عَبَّاس: أَنَّ يَهُودَ، كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قَبْلَ مَبْعَثِهِ. فَلَمَّا بَعَثَهُ الله مِنَ الْعَرَبِ، كَفَرُوا بِهِ، وَجَحَدُوا مَا كَانُوا يَقُولُونَ فِيهِ، فَقَالَ لَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَل وَبِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ أَخُو بَنِي سَلِمَةَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتَّقُوا الله وَأَسْلِمُوا. فَقَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ عَلَيْنَا بِمُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ أَهْلُ شِرْكٍ، وَتُخْبِرُونَنَا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ، وَتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَتِهِ. فَقَالَ سَلَامُ بْنُ مِشْكَم أَخُو بَنِي النَّضِيرِ: مَا جَاءَنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ، وَمَا هُوَ بِالَّذِي كُنَّا نَذْكُرُ لَكُمْ. فَأَنْزَلَ الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي ذَلِكَ هَذِهِ الآيَةَ. (تفسير

الطبري جـ٢صـ٢٣٧).

(٧) اليهود أكثر الناس جبنًا:

قال سُبحانه: (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ) (الحشر:١٤).

* قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): يَعْني: أَنَّهُمْ منْ جُبنهم وهَلعهم لا يَقْدرُونَ عَلَى مُواجهة جيْش الإسْلام بالْمُبارزَة والْمقابلة بلْ إمَّا في حُصُونٍ أوْ منْ وَرَاء جُدُر مُحاصرينَ، فيُقَاتلُونَ للدفع عنهم ضرورة. (تفسير ابن كثير جـ١٣ صـ٤٩٦).

(٨) اليهود أكثر الناس حرصًا على الحياة:

قال سُبحانه: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ) (البقرة:٩٦).

* روى ابنُ جرير الطبري عَن ابْن عَبَّاس، رضي الله عنهما: قَوْلُه تَعالَى(وَلتَجدنَّهُمْ أحْرَصَ النَّاس عَلَى حيَاة) يَعْني الْيَهُود. (تفسير الطبري جـ٢صـ٣٦٩).

* قال الإمامُ ابن جرير الطبري(رحمه الله): إنَّما وَصفَ الله جلَّ ثناؤُه الْيهُودَ بأنَّهُمْ أَحْرصُ النَّاس عَلَى الْحَياة لعلْمهمْ بمَا قدْ أَعدَّ لَهُمْ في الآخرَة عَلَى كُفْرهمْ بمَا لا يُقرُّ به أَهْلُ الشِّرْك، فَهُمْ للْمَوْت أكْرَهُ منْ أَهْل الشِّرْك الَّذينَ لا يُؤْمنُونَ بالْبَعْث؛ لأنَّهُمْ يُؤْمنُونَ بالْبَعْث، وَيَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ هُنالكَ منَ الْعَذاب، وَأَنَّ الْمُشْركينَ لا يُصَدِّقُونَ بالْبَعْث، وَلا الْعقاب. فَالْيَهُودُ أَحْرَصُ منْهُمْ عَلَى الْحَياة وَأَكْرَهُ للْمَوْت. (تفسير الطبري جـ٢ صـ٣٧٠:٣٧١).

(٩) قلوب اليهود متنافرة فيما بينهم:

* قال سُبحانه: (بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ) (الحشر:١٤).

* قالَ الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): قَوْلُهُ تَعَالَى: (بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَديدٌ» أيْ: عَدَاوَتُهُمْ فيمَا بَيْنَهُمْ شَديدَةٌ، كَمَا قَالَ: (وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ) (الأنعام: ٦٥) ؛ وَلهَذا قَالَ: (تَحْسَبُهُمْ جَميعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) أيْ:

تَرَاهُمْ مُجْتَمعينَ فتَحْسَبُهُمْ مُؤْتَلفينَ، وَهُمْ مُخْتَلفُونَ غَايَةَ الاخْتلاف. (تفسير ابن كثير جـ١٣صـ٤٩٦).

* وقال تعالى: (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) (المائدة:٦٤).

* قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إلَى يَوْم الْقيَامَة) يَعْني: أنَّهُ لا تَجْتَمعُ قُلُوبُهُمْ، بَل الْعَدَاوَةُ وَاقعَةٌ بَيْنَ فرقهم بَعْضهمْ في بَعْض دائمًا لأنَّهُمْ لا يَجْتَمعُونَ عَلَى حَقّ. (تفسير ابن كثير جـ٥صـ٢٨١).

(١٠) اليهود قوم ضرب الله عليهم الذلة إلى يوم القيامة:

* قال جلَّ شأنه عن اليهود: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ) (البقرة:٦١).

* قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): يَقُولُ تَعَالَى: (وَضُربَتْ عَلَيْهمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ) أَيْ: وُضعَتْ عَلَيْهمْ وَأُلْزمُوا بهَا شَرْعًا وَقَدَرًا، أيْ:لا يَزَالُونَ مُسْتَذَلِّينَ، مَنْ وَجَدَهُمْ اسْتَذَلَّهُمْ وَأَهانَهُمْ، وَضَرَبَ عَلَيْهمُ الصَّغَارَ، وَهُمْ مَعَ ذَلكَ في أَنْفُسهمْ أذلاءُ مُتَمَسْكنُونَ. (تفسير ابن كثير جـ١صـ٤٢٨).

وللحديث بقية إن شاء الله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

إعداد/ الشيخ سعود بن إبراهيم الشريم
إمام المسجد الحرام

الحمد لله الوليّ الحميد، ذي العرش المجيد، الفعّال لما يُريد، أحمدهُ سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُ الله ورسوله ذو الخُلق اللّين والسَّمت الهيّن، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فأوصيكم أيها الناس ونفسي بما وصى الله به نبيه - صلى الله عليه وسلم- وما وصى به الأولين والآخرين إذ قال جلَّ شأنه: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ) (النساء: ١٣١).

ألا فاتقوا الله - عباد الله - وراقبوه في السرِّ والعلن والغضب والرضا والمنشط والمكره فإن التقوى عهدٌ بين المرء وبين ربه فمن وفَّى به أحبه الله (بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ)(آل عمران: ٧٦).

صبر النبي صلى الله عليه وسلم على الأذى:

أيها الناس إنه لم يُعرف على هذه البسيطة أحدٌ تواطأ خصومه على ظلمه والبطش به والتضييق عليه في نفسه وأهله وماله ودعوته مثلُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه.

فقد نُصب له العداء الجسدي والمعنوي فأُوذي باليد وأوذي باللسان.. اتُّهم بالكذب وهو أصدق الناس.. وبالجنون وهو أعقل الناس.. وبالعرض وهو أعفُّ الناس.. ألقيَ عليه سَلا الجزور وكُسرت رباعيته وشُجَّ وجهه حتى سَال الدمُ عليه ورُمي بالحجارة..

فما ظنكم - ياعباد الله - بصادقٍ يكذبه قومه؟!

وما ظنكم برءوفٍ يقسو عليه قومه؟!

وما ظنكم بطاهرٍ عفيف يقذفهُ قومه في عرضه؟!

وما ظنكم بمن جمع الله فيه خير خصال البشر فيكيد له قومه كيدًا ويُبرمون له أمرًا فيطردونه من داره ويُخرجونه من أرضه؟!

أليس هذا كُله كفيلاً لأي أحد من البشر في أن يولّد في نفسه مبدأ الانتقام، ويُذكيَ فيه روح الغضب والعنف ويجعله يرى من فعلوا به تلكم الأفاعيل.. هم شرار الخَلق.

بلى! إنه لكفيلٌ بذلك، ولكن لنستمع لحظات إلى ردَّة فعله -صلى الله عليه وسلم- تُجاه كل من آذاه من قومه في كلمات يسيرات.

تأملات في رحمة النبي صلى الله عليه وسلم:

ففي الصحيحين أن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: يا رسول الله، هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أُحد؟

فقال: «لقد لقيتُ من قومك، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عَرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال فلم يُجبني إلى ما أردت، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب - أي

لم أفطن لنفسي من الهم إلا وأنا بقرن الثعالب، -وهو ميقات أهل نجد- قال: فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل؛ فناداني فقال: إن الله - عزَّ و جلَّ - قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

قال: فنادى ملك الجبال وسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين - وهما جبلان بمكة -؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشركُ به شيئًا».

فلا إله إلا الله والله أكبر

أيُّ معدنٍ هذا الذي اتصف به سيد البشر -صلوات الله وسلامه عليه-؟!

والله أكبر أيُّ حلم تدثَّر به -صلى الله عليه وسلم-؟! والله أكبر أين نَحنُ جميعًا عمن أمرنا الله تجاهه بقوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١).

أترون - عباد الله - أن يأمرنا ربنا بالاقتداء بأحدٍ يستحيلُ الاقتداء به؟!

ألا يستطيعُ أحدنا أن يعفو عمن ظلمه؟!

ألا يستطيعُ أحدنا أن يدفع الغضب بالحِلم والجهل بالعلم؟!

إنه ما بيننا وبين أن نُحقق الاقتداء برسولنا -صلى الله عليه وسلم- إلا أن نرجو الله واليوم الآخر وأن نذكر الله كثيرًا.

هذا هو ما اشترطه ربنا لمن أراد أن يقتدي بسيده وسيِّد ولد آدم -صلوات الله وسلامه عليه- الذي بذل عمره ونفسه ووقته وجهده في محو الجاهلية، وقطع ظلامها بأنواع المعرفة والإرشاد ومنع الفساد فيها بحلمه وعلمه ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

هكذا تتجلى رحمة الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأمته، حتى أصبحت سمةً بارزةً في دعوته وجهاده ضدَّ ألدِّ أعدائه وخصومه..

ولا عجب في ذلكم - عباد الله - فإن الذي أرسله رحمنٌ رحيم غفورٌ ودود،

وقد أخرج مسلمٌ في صحيحه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تلا قول الله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (إبراهيم: ٣٦)، وتلا قول عيسى -عليه السلام-: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٨).

فرفع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يديه، وقال: «اللهم أمتي أمتي، وبكى».

فقال الله - عزَّ وجل - يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسلهُ ما يُبكيك؟

فأتاه جبريل -عليه السلام- فسأله، فأخبره - عليه السلام- بما قال -وهو أعلم-، فقال الله: «يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنُرضيك في أمَّتك ولا نسوؤك».

بمثل هذا - عباد الله - فتح الله لنبيه وأمته مشارق الأرض ومغاربها..

وبمثل ذلكم دَان له العرب والعجم، كل ذلك حين جعلت أمته دين الإسلام دين العلم والرحمة واليسر والرفق والسعة.. إذ هكذا أوصى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمته بقوله: « إنما بُعثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسرين» (رواه البخاري).

ومن هذا المنطلق حصل لأمة الإسلام من الانتشار والتوفيق في دعوتها إلى الله بمثل ذلكم ما لم يحصل بغيره، وذلك مصداق لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف، وما لا يُعطي على ما سواه» (رواه مسلم).

ثم لقد دارت رحى الأيام بالنبي -صلى الله عليه وسلم- ليأتي اليوم الموعود الذي يفتحُ الله به عليه مكة فيطوِّق بلد من طردوه وشتموه وآذوه وقاتلوه..

وزلزل بهم المؤمنون زلزالاً شديدًا، ويدخل المسجد الحرام ويطوف به ثم يجلسُ بالمسجد والناس من حوله والعيون شاخصةٌ إليه،

والقوم مشرئبون إلى معرفة صنيعه بأعدائه شروخهم وشيوخهم، فلربما فعل بهم الأفاعيل،

فقال كلمته المشهورة: «يا معشر قريش ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟!»

قالوا: خيرًا، أخٌ كريم وابن أخ كريم..

قال: فإني أقول لكم ما قال يوسف لإخوته: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ (يوسف: ٩٢) اذهبوا فأنتم الطُّلقاء».

فيُسلم حينها العظماء ويتوبون كأمثال؛ هند بنت

عتبة، وعكرمة بن أبي جهل، ويثوب إليه الشعراء الذين هجوه فيعتذرون إليه، كابن الزبعرى وكعب بن زهير، فلا ينال الجميع منه إلا العفو والتغاضي -رضي الله عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين-.

هذا هو نبي الإسلام يا من تدعو إلى الإسلام..

وهذا هو رسول الجهاد يا من تدعو إلى الجهاد..

وهذا هو الحبيب يا مُحب..

وهذا هو رسول العلم يا من تنشدُ العلم..

وهذا هو رسول الرحمة يا من بُليت بالعنف والغلظة..

(لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة: ١٢٨).

خلق الرحمة عند سلفنا الصالح:

عباد الله: اعلموا أن خُلق الرَّحمة والرفق والحلم في النبي -صلى الله عليه وسلم- قد بدا ظاهرًا جليًا في أسلافنا عبر التأريخ، في سلمهم وحربهم وسرَّائهم وضرَّائهم، فهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- المؤمن إن قَدر عدل وأحسن، وإن قُهر وغُلب صبر واحتسب.

كما قال كعب بن زهير أمام النبي -صلى الله عليه وسلم- مُنشدًا

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهمُ
يومًا وليسوا مجازيعًا إذا نِيلُوا

وقد سئل بعض العرب عن شيءٍ من أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: «رأيته يَغلب ولا يَبطر ويُغلب فلا يَضجر».

وبمثل هذا - عباد الله - سار خلفه من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فقد صح عن أبي بكر -رضي الله تعالى عنه- وصيته لجيوشه قائلاً: «انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا طفلاً صغيرًا ولا امرأةً ولا مريضًا ولا راهبًا، ولا تقطعوا مثمرًا، ولا تخربوا عامرًا ولا تذبحوا بعيرًا ولا بقرة إلا لمأكل، ولا تغرقوا نحلاً ولا تحرِّقوه، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحبُ المحسنين».

لا تنزع الرحمة إلا من شقي:

فكانوا - رحمهم الله - يدركون أن الجهاد في سبيل الله، إنما شرع لرحمة الخلق ولإخراجهم من الظلمات إلى النور، فلذلك أيقنوا أن تلكم الأشياء تنافي ما شرع لأجله بخلاف فعل أعداء الإسلام بالمسلمين في حروبهم؛ حيث أوجزه الله في قوله: (كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً) (التوبة: ٨).

وقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال: بعثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بعث وقال لنا: «إن لقيتم فلانًا وفلانًا - لرجلين من قريش سماهما - إذا لقيتم فلانًا وفلانًا فحرِّقوهما بالنار، قال: ثم أتيناه نودعه حين أردنا الخروج، فقال: إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانًا وفلانًا بالنار، وإن النار لا يُعذِّبُ بها إلا الله». الحديث..

تلكم -عباد الله - هي مدرسة محمد -صلى الله عليه وسلم- وذلكم هو ميراثه، ولن يصلُح حال هذه الأمة إلا بما صلح به حال أولها..

لا تنتصر أمة يقودها الجهل والقسوة وحب الانتقام:

وإن أمةً يقودها الجهل والشح والقسوة والأثرة وحب الانتقام لحريٌ بها أن تؤخرَّ يوم النصر ولا تُقدمه، وأن ترجع بنفسها القهقرى لا أن تبلغ المقدمة، وما لم يكن العلم قائدها فسيوردها الجهل غياهب الذّل والصَّغار حتى تكون كالقصعة تتداعى عليها الأكلة..

فما من صلاحٍ وإصلاحٍ إلا والعلمُ رائده
وما من فسادٍ وإفسادٍ إلا والجهلُ موقده

إذ هو غاية الأعداء في الأمة وهو المنحة التي يمنحها لهازمُ أمتنا لأعدائها على طبقٍ من ذهب!

ولقد صدق من قال:

ما يبلغُ الأعداء من جاهلٍ
ما يبلغُ الجاهلُ من نفسه

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأزكى البشرية محمد بن عبد الله صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، ثم بكم أيها المؤمنون فقال جل وعلا: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦).

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر صحابة نبيك محمد -صلى الله عليه وسلم-، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين.

من مكارم الأخلاق..

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله الذي وفَّق من شاء من عباده لمكارم الأخلاق، وأصلي وأسلم على أفضل الخلق على الإطلاق، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم التلاق، أما بعد:

فإن مكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، بها ترفع الدرجات، وتضاعف الحسنات، ولما كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم متخلقًا بجميعها كان أجمل خلق الله أجمعين، فأثنى عليه رب العالمين سبحانه بقوله: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم:٤)، ولما سُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خُلق النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قالت للسائل: ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: فإنَّ خُلُق نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن». (مسلم: ٥١٢/٧٤٦- ١/٥١٤).

والمعنى: فما حثَّ القرآنُ الكريمُ على اعتقاد ولا عبادة ولا معاملة إلا وتخلق به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد حدَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم الغاية الأولى من بعثته والمنهاج المبين في دعوته، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق». (الصحيحة: ٤٥). وفي رواية: «إنما بعثتُ لأتمم صالح الأخلاق». (صحيح الجامع: ٢٣٤٩).

ومما يدلُّ على أنَّ للأخلاق الحسنة مكانةً عظيمةً: أن المؤمنين يتفاضلون في الإيمان وأن أفضلهم فيه أحسنهم خُلُقًا. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رجلٌ من الأنصار فَسَلَّم على النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا رسول الله، أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقًا». (ابن ماجة: ٢/١٤٢٣).

ومن ذلك أن المؤمنين يتفاوتون في الظفر بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرب منه يوم القيامة، وأكثرهم ظفرًا بحبه والقرب منه صلى الله عليه وسلم الذين حسُنت أخلاقهم.

قال صلى الله عليه وسلم: «إن من أحبكم إليَّ، وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقًا». (صحيح الجامع).

لذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُرغِّب

في مكارم الأخلاق، ويحث عليها، ويبين لهم فضلها.
فأخبر صلى الله عليه وسلم أن حُسن الخلق عنوان كمال الإيمان، فقال صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا». (صحيح الترمذي: ١١٦٢).

حسن الخلق من موجبات الجنة

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن حسن الخلق يثقلُ الميزان يوم القيامة، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق». (صحيح الترمذي ٢٠٠٢ في البر والصلة).
وأخبر صلى الله عليه وسلم أنَّ حسن الخلق من موجبات الجنة، سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحُسنُ الخلق». (صحيح الترمذي: ٢٠٠٤).
قال ابن القيم رحمه الله: جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحُسنِ الخلق لأنَّ تقوى الله تصلحُ ما بين العبد وربِّه، وحُسن الخلق يصلح ما بين العبد وبين خلقه، فتقوى الله توجبُ له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته.
وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حسن الخلق يبلغ صاحبه درجة الصائم القائم، قال صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم». (صحيح أبي داود: ٤٧٩٨). وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل، الظامئ بالهواجر». (صحيح الترغيب: ٣٦٤٤).
«درجة الصائم القائم»: أي: قائم الليل في الطاعة، وإنما أعطي صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم؛ لأنَّ الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما، وأما من يحسن خُلُقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوسًا كثيرة فأدرك ما أدركه الصائم القائم فاستويا في الدرجة. (عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٣/١٥٤).
وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حُسن الخلق يرفع صاحبه أعلى درجات الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حُسن خلقه». (صحيح أبي داود: ٤٨٠٠).
ومعنى زعيم: ضامن. قال الخطابي: البيت هاهنا القصر. يقال: هذا بيت فلان، أي: قصره.

حسن الخلق خير ما يتحلى به المسلم

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن حسن الخلق خير ما تجمل به الإنسان، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلهما». (صحيح الجامع: ٤٠٤٨).
وأخبر صلى الله عليه وسلم أنَّ أحسن الناس إسلامًا أحسنهم خلقًا، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنت في مجلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم وسمرة وأبو أمامة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء، وإنَّ أحسن إسلامًا أحسنهم خلقًا». (صحيح الترغيب: ٢٦٥٣).

خير عطاء

وأخبر صلى الله عليه وسلم أنَّ خيار الناس أحاسنهم أخلاقًا، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بخياركم؟».
قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «أطولكم أعمارًا، وأحسنكم أخلاقًا». (صحيح الترغيب: ٢٦٥١).
وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ أحبَّ عباد الله إلى الله أحسنهم خلقًا. عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلمٌ؛ إذ جاءه أناسٌ فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله تعالى؟ قال: «أحسنهم خلقًا». (صحيح الترغيب: ٢٦٥٢).
وأخبر صلى الله عليه وسلم أن خير ما أعطي الإنسان حسن الخلق، عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: سُئل النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقيل له: يا رسول الله، ما خيرُ ما أعطي الإنسان؟ قال: «حسن الخلق». البخاري في الأدب المفرد: ٢٩١).
ومما لا شك فيه أنَّ حُسن الخلق منَّةٌ من الله يَمُنّ به على من يشاء من عباده، قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: «﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾» (آل عمران: ١٥٩).
قال السعدي رحمه الله: «أي: برحمة الله لك ولأصحابك منَّ الله عليك فألنتَ لهم جانبك وخفضت لهم جناحك، وترفقت لهم، وحسنت لهم خُلُقك فاجتمعوا عليك وأحبوك وامتثلوا أمرك «ولو كنت فظًا» أي: سيئ الخلق «غليظ القلب» أي: قاسية.
فالأخلاق الحسنة تجذبُ الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع لصاحبه من المدح والثواب الخالص.
والأخلاق السيئة تنفِّر الناس عن الدين وتبغِّضه إليهم، مع لصاحبه من الذم والعقاب الخالص. اهـ. (تفسير السعدي: ١/١٤٤).

حسن الخلق وأثره في الدعوة

فلحسن الخلق تأثير هائل في الدعوة إلى الله، وله عظيم الأثر في نفوس المدعوين، فإذا كان للشخص رصيدٌ طيب من حسن الخلق كانت دعوته أنفع وأنجع وأولى بالقبول عند الناس، ومن ثم أثار رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا من هذا الرصيد في بداية بعثته، ألا وهو صدقه في الحديث صلى الله عليه وسلم فقال للمشركين: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً يخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي»؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. (البخاري: ٤٨٠١، ومسلم: ٢٠٨).

وصية النبي صلى الله عليه وسلم

لذا وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الأمة بالحلال والحرام العالم الفقيه معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن». (صحيح الجامع: ٩٧).

فخيار المسلمين من حسنت أخلاقهم وكرمت صفاتهم، أما من ساءت منهم الأخلاق وقبحت الصفحات فأولئك مع الأشرار، وإن كانوا يصلون ويصومون ويحجون، فإن صلاتهم ليست بصلاة الخاشعين، وصيامهم مجاراة، وحجهم رياء، ولو كان ذلك منهم بإخلاص لأثمر بلا مراء كرام الأخلاق، فإن الصلاة الحقة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصيام الخالص داعية الصبر والكرم، والحج المبرور يثمر خلق الصبر، وحسن العشرة والمعونة، فبرهان الصدق في العبادات والإخلاص فيها كرم الأخلاق، وآية التقصير فيها سوءها. (الأدب النبوي: ١٦٠).

عنوان القبول

فحسن الخلق عنوان قبول الأعمال، وسوء الخلق يحبط الأعمال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل». (صحيح الجامع: ١٧٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «هي في النار». قال: يا رسول الله، فإن فلانة تذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها إنها تصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في الجنة». (صحيح الترغيب: ٢٥٦٠).

معنى: «الأثوار» جمع ثور وهي القطعة من الأقط. ومعنى: «الأقط» شيء يتخذ من مخيض اللبن الغنمي، فديننا الحنيف لا ينظم علاقة الإنسان بخالقه فقط، وإنما ينظم علاقة الإنسان بخالقه والناس أجمعين مؤمنين وكافرين، ويدعو الدين إلى أن يكون الإحسانُ هو أصل علاقة الإنسان بربه والناس أجمعين. قال الله تعالى: «لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» (البقرة:١٧٧)، فما أحوجنا جميعًا أن نعيد النظر في أنفسنا أين نحن من مكارم الأخلاق؟ أين نحن من التأسي بنبينا صلى الله عليه وسلم الذي كان خُلقه القرآن ؟!

قال الحسن البصري رحمه الله: «إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، وما تدبر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن ما أسقطت منه حرفًا وقد- والله- أسقطه كله ما يُرى القرآن له في خلق ولا عمل». (الزهد: ٢٧٦).

حسن الخلق وصلاح المجتمع

ما أحوجنا أن يُرى أثر القرآن في مكارم أخلاقنا مع الصغير والكبير، والقريب والبعيد.

«إن نهوض الأمة وصلاح المجتمع إنما يتحقق بالتخلي عن رذائل الأخلاق، والتحلي بفضائلها، وإن علاج أمراضنا الاجتماعية يتطلبُ إصلاحًا أخلاقيًا يكفل الأنساب والائتلاف بين طبقات الأمة، ويوجه النفوس إلى الخير المفطور فيها، ويخلص القلوب من أدران الحقد والأنانية».

فاحرص أخي الحبيب على التحلي بمكارم الأخلاق واستعن بالله على ذلك، وألح على الله تعالى بهذه الأدعية المأثورة عن أحسن وأكمل الناس خلقًا صلى الله عليه وسلم.

«اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت». (مسلم: ٥٣٤/٧٧١ - ١/٥٣٦).

«اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خلقي». (صحيح الجامع: ١٣٠٧).

«اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء». (صحيح الجامع: ١٢٩٨). أمين.

وصل اللهم وسلم وبارك على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

باب الفقه

السجود (تعريفه، حكمه، حكمته، الاطمئنان فيه، صفته، ما يقال فيه)

الحلقة الثالثة

إعداد / د. حمدي طه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

بدأنا في العدد السابق الحديث عن الصفة أو الهيئة التي ينبغي للمصلي أن يكون عليها في سجوده في الصلاة، وذكرنا أن الفقهاء اتفقوا على وجوب السجود على الوجه، واختلفوا هل المجزئ السجود على الجبهة فقط أم الأنف فقط أم الاثنين معاً، ونواصل في هذا العدد الحديث عن صفة السجود.

السّجود على اليدين والرّكبتين والقدمين:

اختلف العلماء في وجوب السجود على هذه الأعضاء؛ فقد ذهب جمهور الفقهاء وهم الحنفيّة والمالكيّة وأحد القولين لدى الشافعيّة، ورواية عن أحمد إلى أنّه لا يجب على السّاجد وضع يديه وركبتيه وقدميه، وإنّما الواجب عليه هو السّجود على الجبهة - وهي من مستدير ما بين الحاجبين إلى النّاصية - (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٥/٢٠٠).

واحتجوا لذلك بأن الله ذكر السجود في كتابه في مواضع، فلم يذكر فيها غير الوجه، فقال: (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ) (الإسراء: ١٠٩)، وقال: (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ) (الفتح: ٢٩). وقال عليه السلام: (سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره)، فلم يذكر غير الوجه (شرح صحيح البخاري. لابن بطال٢/٢٢٤).

ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث المسيء صلاته من رواية رفاعة عند أصحاب السنن: «إذا سجدت فمكن جبهتك» فإفرادها بالذكر دليل على مخالفتها لغيرها من الأعضاء الأخرى، وقد سبق أن هذا موضع تعليم ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة فلو كان غير الجبهة واجباً لنصّ -صلى الله عليه وسلم- عليه.

وقيل: أراد أن يبين أن الأمر بالجبهة للوجوب وغيرها للندب، ولهذا اقتصر على ذكرها في كثير من الأحاديث.

وقال ابن حجر: بل الاقتصار على ذكر الجبهة؛ إما لكونها أشرف الأعضاء المذكورة أو أشهرها في تحصيل هذا الركن فليس فيه ما ينفي الزيادة

التي في غيره. (فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥/٤٩٦).

وزاد ابن دقيق العيد بأن هَذا غايَتُه: أَنْ تَكُونَ دَلالَتُه دَلالَةَ مَفْهُوم وَهُوَ مَفْهُومُ لَقَب، أَوْ غايَة. وَالْمَنْطُوقُ الدَّالُ عَلَى وُجُوب السُّجُودِ عَلَى هَذِهِ الأعْضاء: مُقَدَّمٌ عَلَيْه. (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١\٣٦١).

فائدة:

مفهوم اللقب: هو تعليق الحكم بالاسم العلم، نحو: قام زيد، أو اسم النوع، نحو: في الغنم زكاة، فَلا يَدُلُ عَلَى نَفْيِ الْحُكْمِ عَمَّا عَدَاهُ وَقَالَ الأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ: لَمْ يَخْتَلِفْ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابُهُ فِيه. ولم يعمل به أحد إلا أبو بكر الدقاق وَبِه اُشْتُهِر (البحر المحيط للزركشي ٤/ ٤٤١) ومثاله: تخصيص الأشياء الستة في الذكر بتحريم الربا. (الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٢/١٣٤).

ومقصود الآمدي رحمه الله أن ذكر الأشياء الستة في حديث الربا وردت على جهة التمثيل لا الحصر.

مفهوم الغاية: هو مد الحكم إلى غاية بصيغة «إلى» أو «حتى». كقوله تعالى: «حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ»، «ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ» (روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي ٣/١٣٦).

وقالوا: ولأنّ المقصود من السّجود وضع أشرف الأعضاء على مواطئ الأقدام، وهو خصيص بالجبهة. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٥/٢٠٠).

ولو كان حكم السجود متعلقًا بذلك لكان مع العجز عنه ينتقل إلى الإيماء كالرأس، فلما كان مع العجز يقع الإيماء بالرأس حسب، ولا يؤمى بالركبتين والقدمين واليدين، علمنا أن الحكم تعلق بالوجه حسب.

(شرح صحيح البخاري. لابن بطال ٢/٢٢٤).

وعلى ذلك فإذا سجد على جبهته أو على شيء منها دون ما سواها من الأعضاء أجزأه ذلك.

وقالت طائفة: لا يجزئه إن ترك السجود على شيء من الأعضاء السبعة، وهو أحد قولي الشافعي، وبه قال أحمد وإسحاق، وهو مذهب ابن حبيب من المالكية، قال ابن بطال: وأظن البخاري مال إلى هذا القول. (شرح صحيح البخاري. لابن بطال ٢/٢٢٤).

واحتجوا لذلك بحديث ابن عباس قال: (أُمِرَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يسجد على سبعة أعضاء ولا يكف شعرًا ولا ثوبا، الجبهة واليدين والركبتين والرجلين) متفق عليه، وفي لفظ: (قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أمرت أن أسجد على سبعة أعظم...) متفق عليه. وفي لفظ (أمرنا) أخرجه البخاري وهو دال على العموم والحديث يدل على وجوب السجود على السبعة الأعضاء جميعا (نيل الأوطار - الشوكاني ٢/٢٨٧).

ورد ذلك بأنه لا يمتنع أن يؤمر بفعل الشيء، ويكون بعضه مفروضا وبعضه مسنونًا، ولا يكون وجوب بعضه دليلا على وجوب باقيه، إلا بدلالة الجمع بين ذلك، وقد خصصناه بدلالة الكتاب والسنة. (شرح صحيح البخاري. لابن بطال ٢/٢٢٤).

مسألة: مَا حُكمُ السُّجُودِ عَلَى حَائل؟

اعلَم أن الأمر بالسجود على هذه الأعضاء لا بد أن يكون على الأرض أو على ما هو عليها من حصير أو نحوه، فلا يجعل المصلي بين هذه الأعضاء وبين ذلك حائلا لا من حي ولا من غيره؛ فإن فعل خالف ما أمر به مع كون ذلك بيانا لمجمل القرآن (السيل الجرار - الشوكاني ١/٢١٧).

والحائل: يشمَلُ الثوبَ، والعُترة،

ذهب جمهور الفقهاء وهم الحنفيّة والمالكيّة وأحد القولين لدى الشافعيّة، ورواية عن أحمد إلى أنّه لا يجب على السّاجد وضع يديه وركبتيه وقدميه، وإنّما الواجب عليه هو السّجود على الجبهة.

وما كان من جنس الأرض، وما كان من غير جنسها فهو عامٌ، لكن لا بُدَّ أن يكون طاهراً؛ لأنه لا يمكن السُّجود على النَّجس؛ إذ إن من شرط الصَّلاة كما سَبَقَ اجتنابُ النجاسة. (الشرح الممتع للعثيمين ٣/٣٧).

والسُّجودُ عَلى الحوائل ثلاثة أقسام: مَمنُوعٌ، وجَائزٌ، ومَكرُوه.

فالمَمْنُوعُ: أن يسجد على حائل من أعضاء السُّجود كأَنْ يَجْعَلَ يديه أَوْ إِحْدَاهُمَا على رُكْبَتَيْه- كما هو حال الركوع- أَوْ يسجُدَ بجبهتَه عَلى يَدَيه أو يَضع إحدى رِجْلَيْه عَلى الأخْرَى فهذا غَيْرُ جَائز. (إرشاد أولى البصائر والألباب للعلامة السعدي ١/ ٥٠).

أمَّا الحائلُ المكرُوهُ: أن يكون متَّصلاً بالمصلِّي، فهذا يُكره أن يسجدَ عليه إلا منْ حَاجة مثل: الثوب الملبوس، والغترة، وما أشبهها، ودليل ذلك:حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كُنَّا نُصَلِّي مَعَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في شدَّة الحرِّ، فإذا لم يستطع أحدُنا أن يُمكِّنَ جبهتَه من الأرض؛ بَسَطَ ثوبَه فَسَجَدَ عليه» (أخرجه البخاري ومسلم).

فقوله: «إذا لم يستطع أحدُنا أن يُمكِّنَ» دَلَّ على أنَّهم لا يفعلون ذلك مع الاستطاعة، ثم التعبير بـ«إذا لم يستطع»؛ يدلُّ على أنه مكروه، لا يُفعل إلا عند الحاجة. (الشرح الممتع للعثيمين ٣/٣٧).

أَمَّا الجائز: فإذَا كَانَ الحَائلُ غير مُتَّصل بالإنسَانِ فدخَلَ في ذلك الصَّلاة على جَميعَ مَا يُفرَشُ منَ الفُرُش المباحَة كالسجاد وغيره. (إرشاد أولى البصائر والألباب للعلامة السعدي ١/ ٥٠).

ودليل ذلك حديث ميمونة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على الخمرة. أخرجه البخاري. والخُمْرة: عبارة عن خَصيف منَ النَّخْل، يسعُ جبهةَ المصلي وكَفيه فقط.

فهذا لا بأس به ولا كراهة فيه؛ ولكن قال أهل العلم: يُكره أن يخصَّ جبهتَه فقط بما يسجد عليه.وعلَّلوا ذلك: بأن هذا يشابه فعْل الرافضة في صلاتهم، فإن الرافضة يتَّخذون هذا تديناً يُصلُّون على قطعة من المَدَر كالفخَّار يصنعونها مما يسمونه «النَّجف الأشرف»، يضعون الجبهة عليه فقط (الشرح الممتع للعثيمين ٣/٣٧).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

ذهبت طائفة من أهل العلم ان المصلي لايجزئه ان ترك السجود على شئ من الاعضاء السبعة.

عزاء واجب

تتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد ورئيسها، بخالص العزاء والمواساة لوفاة الحاج عبد الكريم التاجوري، والد المهندس عاطف التاجوري، مدير الإدارة المالية بالمركز العام، وكذلك شقيق الشيخ أبو العطا عبد القادر، مدير شئون العاملين بالمركز العام، وتوفي أيضًا الشيخ عبد الغفار عبده إسماعيل، عضو مجلس إدارة فرع هرية رزنة شرقية.

ندعو الله العلي القدير أن يرحمهم رحمة واسعة، وأن يحشرهم مع النبيين والصديقين والشهداء، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله
حال المؤمنين في وقت الشدة

قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ (طه: ١٣٠).

من أقوال السلف

عن إبراهيم بن أبي حفصة قال: قلت لعلي بن الحسين: ناس يقولون: لا ننكح إلا من كان على رأينا، ولا نصلي إلا خلف من كان على رأينا، قال علي بن الحسين: ننكحهم بالسنة ونصلي خلفهم بالسنة. (أصول الاعتقاد للالكائي)

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو: «اللهم لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم طهرني بالبرد والثلج والماء البارد، اللهم طهرني من الذنوب ونقني كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس». (صحيح الأدب المفرد)

حكم ومواعظ

عن الحسن أنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز: « أما بعد، فإن الدنيا مشغلة للقلب والبدن، وإن الزهد راحة للقلب والبدن، وإن الله سائلنا عن الذي نعمنا في حلاله، فكيف بما نعمنا في حرامه؟ (الزهد للبيهقي)

من سياسة الخلفاء

قال معاوية: «لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أن في قلبه عليّ ضغنًا فأستشيره، فيثير إليّ منه بقدر ما يجده في نفسه فلا يزال يوسعني شتمًا وأوسعه حلمًا حتى يرجع صديقًا أستعين به فيعينني وأستنجده فينجدني». (عيون الأخبار)

من معاني الأحاديث

«شبع» فيه «المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبى زور» أي المتكثر بأكثر مما عنده يتجمل بذلك، كالذي يرى أنه شبعان، وليس كذلك، ومن فعله فإنما يسخر من نفسه. وهو من أفعال ذوي الزور، بل هو في نفسه زور: أي كذب. (النهاية لابن الأثير)

من حكمة الشعر

اعمل وأنت من الدنيا على حذر
واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
واعلم بأنك ما قدّمت من عمل
يُحصَى عليك، وما خلّفت موروث
(العقد الفريد)

إعداد/ علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآداب الإسلامية

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا». (صحيح الترغيب والترهيب).

من فضائل الصحابة بشهادات آل البيت

عن عبد الله بن قشير قال: لقيت أبا جعفر محمد ابن علي يشهد أن أبا بكر الصديق وعمر الفاروق رضوان الله عليهما، والرافضة تنكر ذلك. (أصول الاعتقاد للالكائي)

من دلائل النبوة

إخباره صلى الله عليه وسلم ببعض ما يقع من المخاطر

عن أبي حميد الساعدي قال: غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فلما أتينا تبوك قال: «أما أنها ستهب الليلة ريح شديدة، فلا يقومن أحد، ومن كان معه بعير فليعقله» فعقلناها، وهبت ريح شديدة، فقام رجل، فألقته بجبل طيء.

(صحيح البخاري).

وصايا لطلاب العلم

كن متحليًا بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى؛ محافظًا على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها؛ دالاً على الله بعلمك وسمتك وعملك، متحليًا بالرجولة، والمساهلة، والسمت الصالح. (حلية طالب العلم)

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

ذكروا في تفسير قوله تعالى: «عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا»؛ بأنه صلى الله عليه وسلم قال: يجلسني معه على السرير. «باطل». قال الألباني: إنه مخالف لأحاديث جمع من الصحابة بعضها في «البخاري»: أن المقام المحمود هي شفاعته صلى الله عليه وسلم الكبرى يوم القيامة. (السلسلة الضعيفة)

خلق سيء.. فاحذره

قال العلاء بن زياد العدويَ- رحمه الله تعالى-: «لا تتبع بصرك حسن ردف المرأة؛ فإنَ النظر يجعل الشهوة في القلب» (الورع لابن أبي الدنيا)

خُلق حسن... فالزمه

قال النوويَ- رحمه الله تعالى-: «التأني في الحركات واجتناب العبث هو السكينة المحمودة. أما غض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات فهو الوقار» (صفوة الأخبار)

الحلقة ٧٠

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

تأثير قرائن السياق على الأحكام الفقهية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد،

تكلمنا في العدد السابق عن صلاة الضحى، ولم تتسع صفحات المقالة لذكر قرائن السياق المستخدمة في الترجيح، وهذا بيانها:

إعداد/ متولي البراجيلي

أولا: قرائن لفظية متصلة:

١- في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أوصاني خليلي، فهي تدل على التأكيد، والوصية قد تكون واجبة أو مستحبة، فمن الواجب حديث أبي ذر رضي الله عنه: إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا مجدع الأطراف (صحيح مسلم).

فطاعة الأمير واجبة في غير معصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما المستحب فهو كما بالحديث، صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر (والثلاث المذكورات مستحبات).

٢- الفضل الكبير لصلاة الضحى، كما بحديث أبى ذر: يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة....، وحديث يا ابن آدم اركع لي أربع ركعات....

٣- ما النافية في حديث عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رسول الله سبح سبحة الضحى... على غير حقيقته وهو نفي الوجود، لا نفي المداومة، جمعا بين الحديث والأحاديث الأخرى لها المثبتة.

ثانيا: قرائن لفظية منفصلة:

١- في حديث عائشة رضي الله عنها: أي العمل أحب إلى الله... وفيه محبة الله تعالى للمداومة على العمل.

٢- في قول عائشة رضي الله عنها: وإني لأسبحها، لما يدل على علمها بفضل صلاة الضحى.

٣- في قول عائشة رضي الله عنها وإن كان ليدع العمل وهو يحب أن يفعله، بينت العلة من عدم مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الضحى.

ثالثا: قرائن عامة:

١- تقديم المثبت على النافي وذلك في تقديم أحاديث الصحابة الذين أثبتوا صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للضحى، على الأحاديث التي نفت ذلك (كحديث أنس في قصة عتبان بن مالك رضي الله عنهما).

٢- لا يعمل باجتهاد الصحابي إذا كان النص يخالفه، وذلك في اجتهاد خالد رضي الله عنه في مسألتين، الأولى أنها صلاة الفتح، ولا حديث صريح صحيح يدل على ذلك -فيما أعلم-، ثم صلاة الثماني ركعات متصلات، ورأينا الأحاديث تبين أن الصلاة مثنى مثنى ليلا ونهارا. ثم إن هذا لو سلمنا به مفهوم، ومن المعلوم أن المنطوق يقدم على المفهوم في حالة التعارض.

٣- لا يشترط في مشروعية العمل مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليه.

دخول الحائض المسجد والمكث فيه:

أولاً: ما يحرم على الحائض بإجماع أهل العلم:

١- الصلاة، ولا تقضيها بعد طهارتها من الحيض (انظر المجموع للنووي ٣٥١/٢) وعن معاذة أن امرأة قالت لعائشة: أتجزئ إحدانا صلاتها إذا طهرت؟ فقالت: أحرورية أنت؟ كنا نحيض مع النبي صلى الله عليه وسلم فلا يأمرنا

به، أو قالت: فلا نفعله (متفق عليه).

(أحرورية: يعنى من الخوارج نسبة إلى بلدة حروراء التي كانوا فيها، وكان بعضهم يرى وجوب قضاء الصلاة على الحائض بعد الطهر).

٢- الصيام، وتقضيه بعد رمضان، (انظر المجموع: ٣٥١/٢). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يصيبنا ذلك (تعنى الحيض) فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة (صحيح مسلم).

٣- الجماع، قال الله تعالى: (وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ) (البقرة:٢٢٢)، وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم:... اصنعوا كل شيء إلا النكاح (صحيح مسلم وغيره).

٤- الطواف: لما حاضت عائشة رضي الله عنها فإن النبي صلى الله عليه وسلام قال لها:... فافعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري (متفق عليه).

ثانياً: أمور اختلف أهل العلم في جوازها أو عدم جوازها على الحائض:

مس المصحف، قراءة القرآن، السجود عندما تسمع آية سجدة، دخول المسجد والمكث فيه (قال النووي: فأما إجراء القراءة على القلب من غير تحريك اللسان والنظر في المصحف (يعني بلا لمس) وامرار ما فيه في القلب فجائز بلا خلاف، وأجمع العلماء على جواز التسبيح والتهليل وسائر الأذكار غير القرآن للحائض والنفساء، (المجموع ٣٥٧/٢).

وموضوع البحث يتعلق بدخول الحائض المسجد والمكث فيه، لذا سنفصل فيه دون المسائل الأخرى.

ثالثاً: دخول الحائض المسجد والمكث فيه:

اختلف أهل العلم في جواز دخول الحائض المسجد والمكث فيه بين المنع والجواز:

١- المانعون: وهم الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل العلم ففي «البناية»: لا تدخل الحائض المسجد، وبه قال مالك والثوري وابن راهويه وهو مروي عن ابن مسعود رضي الله عنه (البناية شرح الهداية لبدر الدين العيني الحنفي ت ٨٥٥ هـ، ٦٤١/١)، وفي مختصر خليل: ويمنع الحيض دخولها المسجد لمكث أو مرور ويندرج فيه الاعتكاف والطواف (شرح مختصر خليل للخرشي المالكي ت ١١٠١ هـ، ٢٠٩/١).

وفي المجموع: ويحرم اللبث في المسجد لقوله صلى الله عليه وسلم (لا أحل المسجد لجنب ولا لحائض)، فأما العبور فإنها إذا استوثقت من نفسها جاز لأنه حدث يمنع اللبث في المسجد فلا يمنع العبور كالجنابة. (المجموع شرح المهذب للنووي ت ٦٧٦هـ، ٣٥٧/٢).

وفي المغنى:... ومنها أنه يمنع اللبث في المسجد، والطواف بالبيت، لأنه في معنى الجنابة (المغنى لابن قدامة ت ٦٢٠هـ، ٢٢٤/١).

٢- أدلة المانعين:

أ- قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟) (النساء: ٤٣) فقالوا: لا تقربوا الصلاة، أي مواطن الصلاة: وهى المساجد على اعتبار أن هناك مجازا بالحذف، فحذف المضاف: وهو مواطن وجاء بالمضاف إليه وهو الصلاة. وذلك كقوله تعالى: (وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ) (يوسف:٨٢) فإنه حذف المضاف وهو أهل، وجيء بالمضاف إليه وهو القرية. وأجيب عن ذلك بقوله تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا) (الحج: ٤٠) بأن الصلوات هنا هي الصلاة نفسها؛ لأن المساجد مذكورة بعدها، فيكون ذلك من باب التكرار ومساجد ومساجد. هدم الصلاة: أي عدم إقامتها.

قال ابن حزم: لا يجوز أن يظن أن الله تعالى أراد أن يقول لا تقربوا مواضع الصلاة فيلبس علينا فيقول: لا تقربوا الصلاة، وروي أن الآية في الصلاة نفسها عن على ابن أبى طالب وابن عباس وجماعة (المحلى ٤٠٠/١).

فعلى الرأي الأول يكون النهي عن اقتراب المساجد للجنب، وقاسوا عليه الحائض، لكن هذا القياس فيه نظر للتالي:

أولا: أن الآية فيها نزاع (هل هي المساجد أم الصلاة) والنص إذا تطرق إليه الاحتمال

سقط به الاستدلال.

ثانيا: أن أمر الجنب يختلف عن أمر الحائض فالجنب أمره بيده فيستطيع إذا أجنب أن يذهب مباشرة ويزيل الجنابة وان لم يجد ماء تيمم، أما الحائض فأمرها ليس بيدها حتى تنتهي من حيضتها. وعلى الرأي الثاني يكون النهي عن الصلاة نفسها، فلا يكون فيها دليل لمن قال بمنع الجنب والحائض من اقتراب المسجد.

ب- حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب. ولو صح الحديث لكان رافعا للنزاع، لكنه غير صحيح فالحديث أخرجه أبو داود ومداره على جسرة بنت دجاجة، قال البخاري: عندها عجائب. (وقد ضعف الحديث جماعة، كما قال الخطابي، ومن هؤلاء: البيهقي وابن حزم فقال: هذا باطل. وأبو محمد عبد الحق، فقال: لا يثبت، (انظر ح ٣٢ ضعيف أبي داود للألباني، وأورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ت٩١١، ٢٢٣/١، ٢٢٤، والحويني في النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة ح ١٢٢، وقال: منكر، وذكر فيه عدة علل، وقال ابن رجب: أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها وابن ماجة من حديث أم سلمة، وفي إسنادهما ضعف، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب ت ٧٩٥،١/ ٣٢١-٣٢٢، وقال ابن حزم عن هذا الحديث ونحوه: وهذا كله باطل، وقال: فسقط كل ما في هذا الخبر جملة،(المحلى ١/ ٤٠١).

ج- حديث أم عطية رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بإخراج العواتق وذوات الخدور والحيض في صلاة العيد ليشهدن الخير، ودعوة المسلمين، ويعتزل الحيض المصلى (متفق عليه).

فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم منعهن في مصلى العيد، فالأولى النهي في المساجد. وأجيب عن ذلك: بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي العيد في الفضاء، والأرض كلها مسجد ولا يحرم على الحائض الأرض الفضاء هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وردت رواية للحديث عند مسلم بلفظ:... فأما الحيض فيعتزلن الصلاة. مما يرجح أن اعتزال الحيض هنا للصلاة.

د- حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني الخمرة من المسجد. فقلت: إني حائض، فقال: إن حيضتك ليست في يدك (مسلم وغيره).

فقالوا هي ستمد يدها فقط، مما يدل على أن الحائض لا تدخل المسجد، وأن عائشة رضي الله عنها كانت تعلم ذلك لذا تعللت بأنها حائض. وأجيب عن ذلك: بأن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «حيضتك ليست في يدك» أي لا يد لك في ذلك، وإنما هذا أمر الله. ومن ناحية ثانية بالرواية الأخرى للحديث: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقال: يا عائشة ناوليني الثوب. فقالت: إني حائض، فقال: إن حيضتك ليست في يدك (مسلم وغيره).

فالحديث يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بالمسجد وكذلك عائشة. وعلى العموم هو دليل للمانعين والمبيحين، وبالتالي سقط به استدلال كل فريق.

هـ- لما حاضت عائشة رضي الله عنها فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها:... «فافعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري (متفق عليه)، فمنعها النبي صلى الله عليه وسلم من الاقتراب من المسجد. وأجيب عن ذلك: أن المعنى ادخلي المسجد ولكن لا تطوفي؛ لأن الطواف صلاة، يقول ابن حزم: ومن الباطل المتيقن أن يكون لا يحل لها دخول المسجد، فلا ينهاها عليه السلام عن ذلك ويقتصر على منعها من الطواف (المحلى ١/ ٤٠٢).

٣- أدلة المجوزين:

أ- البراءة الأصلية، فلم يصح النهي عن النبي صلى الله عليه وسلم، والذي يمنع، عليه أن يأتي بالدليل الصحيح الصريح، وإلا بقيت البراءة الأصلية، وهي جواز دخول الحائض المسجد.

ب- حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن وليدة سوداء كانت لحي من العرب، فأعتقوها فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت فكان لها

خباء في المسجد (البخاري وغيره)، فتلك المرأة - رضي الله عنها - كانت مقيمة بالمسجد، ولا شك أنها تحيض ولم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتزل المسجد في الحيض (انظر المحلى لابن حزم ١/٤٠٠-٤٠١).

وأجيب عن ذلك بأن هذه حالة اضطرار، فلا يقاس عليها غيرها.

ج- حديث لأبي هريرة رضي الله عنه أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد أو شاب ففقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنها أو عنه، فقالوا: مات... الحديث (متفق عليه) الحديث هنا ورد على الشك هل هو رجل أم امرأة، لكن وردت روايات أخرى للحديث على اليقين بأنها امرأة، كما عند ابن ماجه، فقال: إن امرأة سوداء. بدون شك، وكذلك عند ابن خزيمة والبيهقي بأنها امرأة (انظر الثمر المستطاب للألباني ٢/٥٩٠ - ٥٩١)، فهذه امرأة غير مضطرة تقمّ المسجد في كل وقت، ولم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم نهاها عن نظافة المسجد ودخوله أثناء حيضتها. لكن هنا احتمال أنها ربما لا تقوم بنظافة المسجد يوميا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم افتقدها بعد أيام فسأل عنها، كما في رواية للحديث (في المصدر السابق) قال الشيخ الألباني -يرحمه الله- بعد أن ساق أحاديث النهى عن دخول الحائض المسجد: فتبين مما تقدم أنه لا يثبت أي حديث في تحريم دخول الحائض وكذا الجنب إلى المسجد، والأصل الجواز، فلا ينقل عنه إلا بناقل صحيح تقوم به الحجة، لا سيما وقد صح ما يؤيد هذا الأصل وهو قوله عليه الصلاة والسلام... (ناوليني الخمرة من المسجد) (الثمر المستطاب للألباني ٢/٧٥٢).

قال ابن حزم: وجائز للحائض والنفساء أن يتزوجا وأن يدخلا إلى المسجد وكذلك الجنب لأنه لم يأت نهي عن شيء من ذلك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن لا ينجس) وقد كان أهل الصفة يبيتون في المسجد بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جماعة كثيرة، ولا شك أن فيهم من يحتلم فما نهوا قط عن ذلك (المحلى ١/٤٠٠).

وفي تفسير القرطبي: ورخصت طائفة في دخول الجنب المسجد، واحتج بعضهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم (المؤمن ليس ينجس)، قال ابن المنذر:

وبه نقول: (تفسير القرطبي ت ٦٧١هـ، ٥/٢٠٦)، وفي تفسير ابن كثير: وذهب الإمام أحمد إلى أنه متى توضأ الجنب جاز له المكث في المسجد لما روى هو وسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح: أن الصحابة كانوا يفعلون ذلك.

أخرج سعيد بن منصور (بسنده)... عن عطاء بن يسار قال: رأيت رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون إذا توضؤا وضوء الصلاة وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم والله أعلم (تفسير ابن كثير ٢/٢٧٦).

وإن كان الكلام هنا عن الجنب فلا شك أن الحائض يجوز لها من باب أولى، قال الألباني: ولعل الوضوء مستحب لعمل الصحابة. والله أعلم وبالجملة فلا دليل على تحريم دخول الحائض، وكذا الجنب المسجد والأصل الجواز، وقد اقترن به ما يؤيده - كما سبق - (يقصد أدلة القائلين بالجواز (الثمر المستطاب ٢/٧٥٤-٧٥٥)، وذكر شيخ الإسلام حديث: لا أحل المسجد لجنب ولا حائض، وغيره، وقال: وقد تكلم في هذين الحديثين، ولهذا ذهب أكثر العلماء كالشافعي وأحمد وغيرهما إلى الفرق بين المرور واللبث، جمعا بين الأحاديث.

ومنهم من منعها من اللبث والمرور، كأبي حنيفة ومالك ومنهم من لم يحرم المسجد عليها، وقد يستدلون على ذلك بقوله تعالى: (ولا جنبا إلا عابري سبيل). وأباح أحمد وغيره اللبث لمن يتوضأ (الفتاوى الكبرى لابن تيمية ت ٧٢٨هـ ١/٤٤٥)، وقال التويجري: يحرم على الحائض والنفساء ما يلي: الصلاة والصوم والطواف بالبيت والوطء في الفرج ويحرم على زوجها أن يطلقها وهي حائض. ويجوز لها دخول المسجد، ومس المصحف، وقراءة القرآن ونحو ذلك ولا تمنع من أي شيء إلا بدليل (موسوعة الفقه الإسلامي للتويجري ٢/٣٧٩)،

وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

فقه التعامل بين المسلمين

الحلقة الثالثة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:
تناولنا في الحلقة الماضية بعض الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم تجاه أخيه المسلم، وذكرنا بعضًا من مستلزمات الأخوة الإيمانية والتواصل وعدم الهجران ومراعاة أحوال الناس، وغيرها، ونستكمل اليوم عرض بعض هذه الأخلاق. ومن ذلك:

إعداد/ الشيخ مصطفى العدوي

معرفة أنه لا عصمة لأحد بعد النبي عليه الصلاة والسلام

ولتعلم أيضاً أن الناس بشر يعتريهم ما يعتري البشر، أبوهم آدم أكملهم عقلاً كما في الحديث جحد فمن ثَم جحدت ذريته، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أبوهم آدم أشدهم حلماً نسي فنسيت ذريته) (سنن الترمذي ٣٠٧٦ وقال: حسن صحيح).

عصى فعصت ذريته، وهو من أكمل الخلق وأعقل الخلق وأحلم الخلق صلى الله عليه وسلم، فبنوه كذلك تصدر منهم هذه الأخطاء، فأحياناً يصدر منهم حب للنفس، فيغفر لهم في خضم فضائلهم، وفي ذلك قصص أخرجها البخاري وغيره: قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اهتز العرش لموت سعد بن معاذ) (صحيح البخاري ٣٨٠٣).

وكان سعد بن معاذ سيداً للأوس وكان سعد بن عبادة سيداً للخزرج، وكان بين الحيين في الجاهلية ضغائن وحروب طاحنة.

قال جابر مع أن جابر من الخزرج وسعد بن معاذ من الأوس، وكان الحيان يفتخران، حتى قال بعضهم: منا من حمته الدبر -يعني: النحل حمته من المشركين أن يقطعوا منه شيئاً- ومنا من اهتز له العرش.

الشاهد: قول جابر وهو من الخزرج: اهتز العرش لموت سعد بن معاذ.

فقيل لجابر: إن البراء يقول: إن الذي اهتز إنما هو السرير، يريد أن يؤول العرش بالسرير؛ لأن العرش يطلق عليه سرير، «نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا» (النمل:٤١) العرش: هو سرير الملك.

فهم هكذا رضي الله تعالى عنه، وقد يكون سمع الحديث لكن أحياناً كما يقول القائل:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدي المساويا

فعندما يكون بينك وبين شخص عداوة فإنك تراه بمنظار آخر، يأتيك أبيض فتحسبه أسود، يأتيك مبتسماً فتقول: جاء يشتم ويسب.

فالشاهد: أن قائلاً قال لجابر: إن البراء يقول: اهتز السرير.

فقال جابر: لا قد اهتز العرش إنما كان بين هذين الحيين ضغائن. أي: كان بين الأوس والخزرج ضغائن ففسر العرش بالسرير.

فالشاهد: أن البراء بشر التبس عليه الأمر، وجاء في الرواية: إن البراء يقول: إن ثبت عنه فهو من البشر يجري عليه ما يجري على البشر.

أيضاً: أمنا عائشة لما رأت مدى حب الرسول صلى الله عليه وسلم لخديجة، وقد كان عليه الصلاة والسلام وفياً غاية الوفاء لخديجة، وكان يحبها

حتى بعد موتها، وإذا جاءت أختها هالة تستأذن ذكرته نبرات صوتها بخديجة رضي الله عنها، فيرتاع لها الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقول: (اللهم هالة)، وكانت عائشة رضي الله عنها تغار من اهتمام الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه الزوجة، وإن كان قد ماتت، وعائشة لا تعرفها أصلاً بل إن فاطمة بنت الرسول بنت خديجة أكبر من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهن أجمعين، فعائشة تسمع رسول الله يقول: (اللهم هالة) قالت: (والله يا رسول الله ما غرت من امرأة قط كما غرت من خديجة، وإن كنت لم أرها) (صحيح البخاري ٣٨٢٠)، لكثرة ما سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يذكرها.

حتى قالت: يا رسول الله! ما تذكر امرأة عجوز، ماتت في غابر الزمان قد أبدلك الله خيراً منها، فيقول عليه الصلاة والسلام: (إني رزقت حبها) (صحيح مسلم: ١٣٣/٧).

عائشة ما رأتها ومع ذلك طعنت فيها بدون أن تراها رضي الله تعالى عنها، فأحياناً يعتري البشر في حبه للنفس والانتصار لها ما يعتريهم.

وكما حدث مع الرسول عندما قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت عائشة لحفصة: قولي له أبو بكر رجل أسيف، إذا قام مقامك فلم يسمع الناس من البكاء، ولكن مر عمر، فقال عليه الصلاة والسلام: (إنكن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس) (صحيح البخاري ٦٦٥).

والشاهد: أن عائشة تقول عن نفسها: (والله ما كنت أبداً أريد ألا يؤم أبو بكر بالناس إلا لشيء، إني خشيت إذا وقف أبو بكر مكان رسول الله أن يتشاءم الناس بأبي بكر لكونه جاء بعد الرسول).

فحاصل كلامها: أردت أن ألحق هذا التشاؤم بعمر لا بأبي؛ فأرادت عائشة أن تدفع هذا كله عن أبيها وتلصقه بعمر.

وفي حادثة الإفك قال عليه الصلاة والسلام: (من يعذرني من رجل بلغني أنه قال في أهلي، والله ما علمت عن أهلي إلا خيراً فسعد بن معاذ قام فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من عندنا من الأوس قتلناه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا فقتلناه، فقام سعد بن عبادة وقال: والله لا تقتله ولا تقدر على ذلك، وإن كان من قبيلتك لم تحب أن يقتل، فيقوم أسيد بن حضير ويقول: والله لنقتلنه، إنك منافق، تجادل عن المنافقين) (صحيح البخاري ٢٦٦١)، فهذه هفوات تغتفر للبشر.

أيضاً عليك أن تعلم القاعدة المضطردة في كتاب الله (هناك فضل وهناك عدل)، فضل وعدل، تنزيل ذلك أو استنباطه من الآيات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ (النحل:٩٠)، فالعدل جزاء السيئة بالسيئة، والإحسان العفو، ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (المائدة:٤٥) كله عدل، ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ (المائدة:٤٥) فضل وعفو، ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى:٤٠) عدل، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ (الشورى:٤٠) عفو، ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ (الحج:٦٠) عدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (الحج:٦٠) عفو وفضل.

هناك عدل وهناك فضل، فيجوز لك أن تأخذ بالعدل، ويجوز لك أن تأخذ بالفضل، فليس معنى أني جئته في وقت من الأوقات فلم أعف. وطلبت بحقي أني ظالم.

وفي صحيح البخاري أيضاً (أن الرسول صلى الله عليه وسلم اجتمع عليه أهله في مرضه، فأرادوا أن يضعوا له اللد في فمه -دواء مر، يوضع في الفم رغم الأنف، فيفتح الفم بقوة ويصب فيه الدواء- فأشار إليهم الرسول ألا تفعلوا، فما التفتوا إلى إشارة الرسول قالوا: ما من مريض إلا وهو يكره الدواء- فوضعوا للرسول الدواء في فمه رغماً عنه).

الشاهد: أنه لما أفاق قال: (لا يبقين أحد في البيت إلا لد وأنا أنظر).

يعني: كل واحد في البيت كان يشاهد الموقف لابد أن يوضع اللد في فمه أمام عيني، عليه الصلاة والسلام.

وقال: (إلا العباس فإنه لم يشهدكم) فالرسول أراد أن يعاقب حتى لا تصبح الأمور دوماً مفتوحة لمن أراد أن يخالف، أو من أراد أن يظلم أو أي شيء من هذا الباب، وهذا تزكية لأمته صلى الله عليه وسلم، فليس معنى كونه أخذ بالعدل أنه ظلم صلى الله عليه وسلم.

إقالة ذوي الهيئات عثراتهم:

ومنها: إقالة ذوي الهيئات عثراتهم: ومن ذلك ما ورد في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه، فقد كان من جلساء رسول الله عليه الصلاة والسلام وممن شهد بدراً، بل ذكر بعض العلماء: أنه كان من مستشاري رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يستشيره الرسول صلى الله عليه وسلم في أموره بل وفي أمور المسلمين، فخطط الرسول يوماً لغزو مكة، وأطلع حاطباً على هذا السر، فأرسل حاطب رسالة سرية مع امرأة من المشركين إلى مشركي قريش خلاصتها: إن النبي صلى الله عليه وسلم يريد غزوكم فخذوا حذركم -رسالة بهذه الصورة من حاطب إلى هؤلاء المشركين، والرسول صلى الله عليه وسلم يستأمنه على هذا السر- فأطلع الله نبيه على هذه الرسالة، وأعلمه إياها، فجاء الرسول واستدعى ثلاثة: علياً والمقداد والزبير وقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا مكاناً يقال له: روضة خاخ، وستجدون هناك ظعينة -مسافرة- معها رسالة من حاطب إلى المشركين، فأتوني بالرسالة.

قال علي: (فانطلقنا تعادى بنا خيولنا، حتى التقينا بالمرأة فقلنا لها: أخرجي الكتاب الذي معك.

قالت: ما عندي كتاب.

ففتشوها ودققوا التفتيش فما وجدوا شيئاً، فهموا بالانصراف، فقال علي: ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنجردن الثياب.

فلما رأت المرأة الجد في قول علي أهوت إلى عجيزتها فاستخرجت الرسالة وسلمتها لعلي، فانطلقوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا بها: من حاطب إلى فلان وفلان من المشركين، وقرئت الرسالة على رسول الله عليه الصلاة والسلام وكان عمر جالساً بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم، ورأى أن هذا الأمر جريمة كبرى، بل خيانة لرسول الله عليه الصلاة والسلام، وخيانة لأهل الإسلام، وكشفاً لسر من أسرار المسلمين للكفار، فأرسل الرسول إلى حاطب فجيء به، فقال عمر: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق، إنه رجل خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين) (صحيح البخاري ٣٠٠٧).

ولكن رسول الله -الرسول الأسوة- جاء يخاطب -المتهم- يسمع منه.

وقد قال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى: « وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ » (ص:٢٤) عقب قوله تعالى: « وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ» (ص:٢١-٢٢) ثم بدأ أحدهم في بث الشكوى: « إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ» (ص:٢٣) أي: غلبني « فِى ٱلْخِطَابِ» (ص:٢٣) اشتكى « إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ» (ص:٢٣) فأصدر داود الحكم مباشرة وقال: « قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ» (ص:٢٤).

قال العلماء في تفسيرها وهو أولى الأقوال والله أعلم: إن داود استغفر ربه وخر راكعاً وأناب؛ لأنه لم يسمع قول الخصم الآخر بل حكم للخصم الأول دون سماع ما عند الخصم الآخر.

الشاهد: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لحاطب: (يا حاطب!! ما حملك على ما صنعت؟ قال حاطب رضي الله عنه: والله يا رسول الله!! ما كفرت بالله، بل أنا رجل مؤمن أحب الله وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكني يا رسول الله!! نظرت إلى نفسي وإلى أصحابك، فرأيت أصحابك يا رسول الله كل منهم له قريب في مكة، يدفع الله بهذا القريب عن أهله وماله الذي تركه بمكة، وأنا ليس لي أقارب في مكة يا رسول الله، فأردت أن أصنع معروفاً وجميلاً في المشركين حتى يحافظوا على أهلي وأموالي بمكة.

وهذا من إيمانه رضوان الله عليه؛ فقد وكل الأمر إلى الله فقال: يدفع الله بها عن أهلي ومالي يا رسول الله، فكل أصحابك له أهل يدفع الله بهم عنه.

فانفعل عمر أيضاً وقال: دعني أضرب عنق هذا الرجل يا رسول الله، منافق خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين، فقال عليه الصلاة والسلام: إنه قد صدقكم، فلا تقولوا له إلا خيراً، وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: يا أهل بدر اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم)، وكان عمر رضي الله عنه يعرف قدر نفسه فبكى عمر ودمعت

عيناه وقال: الله ورسوله أعلم.

إذاً: الرجل زلت قدمه زلة خطيرة لكن له سابقة خير، فقد شهد بدرًا، فلا تذهب السيئة بعموم الحسنات، فلابد من تذكر أفعال البر التي عملها من وقع في خطأ، فلا تدفع أفعال البر نتيجة سيئة واحدة اقترفت وإن كانت كبيرة من الكبائر، فهي لا تنزع عن المسلم لباس الأخوة الإيمانية.

ومثلاً: قذف المحصنات الغافلات المؤمنات كبيرة من أكبر الكبائر: أن تأتي إلى امرأة غافلة مؤمنة محصنة عفيفة، فتقول: فلانة زنت.

كبيرة من أكبر الكبائر، فكيف إذا تعدت هذه الكبيرة إلى قذف امرأة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ويقول القائل: عائشة فعلت كذا وكذا وكذا مع فلان، فهي كبيرة ضم إلى كونها كبيرة أنها طعن في عرض رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ومع هذا كله نزل تكذيب هذا القائل ليس من عندي ولا من عندك بل تكذيبه من الله، ومع ذلك كله أيضاً يقول الله لأبي بكر: «وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟» (النور:٢٢) فعند وزن الناس بأعمالهم عليك أن تزن بميزان عدل وميزان قسط، فلا تزن بميزان جور وميزان هوى والعياذ بالله.

عليك أن تدرك هذه المفاهيم جيداً ولا تكن أبداً يوماً عوناً للشيطان على إخوانك، فإن غلب الشيطان أخاك ثم جاء تائباً فافتح له صدرك لتقبل منه العذر.

وما حديث شارب الخمر بخفي عنكم: رجل يجلد لشرب الخمر ثم يذهب ويؤتى به ويجلد مراراً، حتى قال بعض الصحابة: (لعنك الله ما أكثر ما يؤتى بك، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم، إنه والله ما علمته إلا يحب الله ورسوله).

إذاً: قد يذنب الشخص، لكن هذا الذنب لا ينزع عنه حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، فإذا جاء أخوك معتذراً فلا تسد أبواب الاعتذار أمامه بل افتح له الباب، وقل له: يا أخي كلنا نذنب.

غفر الله لي ولك، ستر الله عليَّ وستر الله عليك، ووفقني الله وإياك، واستر عليه وساعده، واقبل منه الاعتذار حتى يصلح حاله، أما أن تغلق في وجهه الأبواب فما عساه أن يجني من وراء موقفك هذا، إلا أن يشرد عنك بل ويشرد عن الدين.

إذاً: إذا وجدت في مسلم من المسلمين خطأ وفيه مناقب فعليك أن تثني عليه بما تعلم من المناقب التي فيه، ثم تذكره عرضاً بالخطأ، وهذه طريقة مضطردة في كتاب الله، الله سبحانه وتعالى، فقد ذكر نبيه داود صلى الله عليه وسلم فقال: «وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ» (الأنبياء:٧٨-٧٩) يعني: الولد وحتى يحفظ عرض داود أيضاً قال تعالى: «فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا» (الأنبياء:٧٩) يعني: داود عنده فهم أيضاً فلا تظن غير ذلك.

لذلك قال: «وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا» (الأنبياء:٧٩).

وقال الله سبحانه أيضاً في شأن يعقوب لما قال لبنيه: «وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ» (يوسف:٦٧) إلى قوله: «وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ» (يوسف:٦٨) ولكنه بين السبب فقال: «إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا» (يوسف:٦٨) وحتى لا يأتي شخص ويقول يعقوب لا يفهم قال تعالى: «وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (يوسف:٦٨).

فإذا أردت أن تنتقد فانتقد وأظهر المحاسن التي في أخيك المسلم، كأن تقول لمن بدرت منه بادرة سيئة: أنت مخك نظيف وعقلك ناضج، لكن هذه فلتة فلتت منك فارجع إلى نظافة العقل، وآرائك السديدة التي نسمعها منك دائماً.

إذاً: لا تجعل الخطأ يأتي على كل المحاسن، فهذا نوع من أنواع الظلم -والعياذ بالله- بل افتح للناس باب التوبة وباب الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وسهله عليهم، وعرِّف الناس بربهم وخالقهم وعلمهم أن الله رحيم حليم يغفر الذنوب جميعاً.

والحمد لله رب العالمين.

تأصيل المصلحة المرسلة عقديًّا

العمل بالمصالح المرسلة ليس من الابتداع في الدين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

يظن بعض الناس أن العمل بالمصالح المرسلة، والقول به، والأخذ به من البدعة، ولذلك عقدنا هذا الفصل لهذا الأمر، ويندرج تحته النقاط التالية:

إعداد/ د. عبد الله شاكر

أ- تعريف المصلحة:

حصل اضطراب شديد في معنى المصالح المرسلة، وفي مشروعيتها، وفي أدلتها، وأمثلتها، وحكم إعمالها وتطبيقها.

وسنتكلم عن بعض هذه الأمور مما يظن أن له علاقة بموضوع البدعة.

*** المصلحة المرسلة:**

اختلفت تعابير العلماء وإطلاقاتهم في هذه المسألة، فبعضهم يعبر عنها بالاستصلاح، وبعضهم يعبر بالاستدلال، وبعضهم يسميها المناسب المرسل، وتتداخل مع هذه التعابير بعض المصطلحات الأخرى التي قد تلتبس بها، وذلك مثل: العلة، والحكمة، والوصف المناسب.

وسنبين معنى المصلحة، والاستصلاح، ونكتفي بذلك.

فنقول: المصلحة: هي المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأموالهم، وفق ترتيب معين فيما بينها. هذا معناها العام.

أما معناها الخاص بالمصلحة المرسلة: فيراد به الوصف الذي لم يثبت اعتباره ولا إلغاؤه من قِبل الشارع، أو هي: كل مصلحة داخلة في مقاصد الشارع، ولم يرِد في الشرع نص على اعتبارها بعينها أو بنوعها، ولا على استبعادها.

هذا تعريف المصلحة، وتعريف المصالح المرسلة.

*** تعريف الاستصلاح:**

الاستصلاح لغةً: طلب المصلحة، وفي اصطلاح أهل الأصول: ترتيب الحكم الشرعي على

المصلحة المرسلة، بحيث يحققها على الوجه المطلوب، واسم الاستصلاح يُطلق على عمل المجتهد، وهو ما أداه إليه اجتهاده من ترتيب الحكم الشرعي وَفقَ المصلحة المرسلة، أو بعبارة أخرى: الحكم بمقتضي المصلحة التي لا يشهد لها دليل خاص بالإلغاء أو الإثبات، وتكون متفقة مع مقاصد الشريعة العامة.

(ب) شروط وضوابط المصلحة التي تُبنَى عليها الأحكام الشرعية:

لا بد من ذكر هذه الشروط والضوابط؛ حتى لا يظن إنسانٌ أن العمل بالمصلحة المرسلة من باب الهوى والبدع.

وهذه الشروط كما يلي:

* الشرط الأول: عدم معارضة المصلحة لنصٍّ من الكتاب أو السنة:

ولا يمكن حينئذٍ أن تسمَّى مصلحة إلا من باب التجوز منْ جهة نظر المجتهد لا في حقيقتها؛ لأنه لا يمكن أن تتعارض مصلحة معتبرة شرعًا مع الوحي؛ لأن ذلك يستلزم أن يعارض الدليلُ مدلوله، وهذا باطل، ثم إن النقل هو الشاهد على اعتبار المصلحة أو إلغائها، فكيف يقبل معارضتها له؟ فليس للمجتهد - وإن توهم المصلحة في حكم ما - أن يتبع تلك المصلحة إلا بعد عَرْضهاَ على الوحي، فإن كانت موافقة له أخذ بها، وإن كانت معارضة له وجب إطراحها.

والأدلة على هذا الشرط كثيرة وفيرة من الكتاب والسنة والآثار والإجماع والقياس والمعقول.

والمقصود بمعارضة المصلحة لنصوص الكتاب والسنة: معارضتها لمنطوق النص أو مفهومه، سواء كان النص قاطعًا أو ظاهرًا، جليًا أو غيرَ جليٍّ، وتسمى المصلحة في هذه الحالة «مصلحة موهومة». وسواء كان النص قطعي الثبوت كالقرآن، أو ظني الثبوت كخبر الآحاد، أو كان قطعي الدلالة أو ظنيها فيهما، فإنه لا يجوز تقديم المصلحة فيه.

فأما ظنية ثبوت خبر الآحاد: فإنها لا تنافي قطعية وجوب العمل به. وأما ظنية الدلالة: فهي بحسب نظر المجتهد، ولكن لا يعدوها إلى ما هو دونها كالمصالح والاستحسان، ونحوهما؛ لأولية النص منطوقًا ومفهومًا.

ويدخل في هذا الشرط قول الصحابي الذي له حُكم المرفوع، وفتواه التي اشتُهرت ولم تعارض، والتي لم تشتهر ولم يعلم لها مُعارض.

* الشرط الثاني: عدم معارضة المصلحة للقياس:

بين القياس والمصلحة أوجُه اتفاق وأوجه افتراق؛ إذ القياس إنما هو مراعاة مصلحة في فرع بناءً على مساواته في علة حكمه المنصوص عليها، ففي القياس مراعاةٌ لمطلق المصلحة بعلة اعتبرَهَا الشارع، فكل قياسٍ مراعاةٌ للمصلَحة، وليس كل مراعاة للمصلحة قياسًا، إذ تنفرد المصلحة بأن أحد أقسامها - وهو الاستصلاح أو المصالح المرسلة - هي المصالح التي يراها المجتهد مما لا شاهد يؤيده من أصلٍ يُقاس عليه، ولا دليل يلغيه من الوحي، وإن كانت مستندة إلى دليل ما اعتبره الشارع، غير أنه دليل لا يتناول أعيان هذه المصلحة بخصوصها، وإنما يتناول الجنس البعيد لها، كجنس حفظ العقل والنسب والروح، وإنما يقال ذلك في دليل المصلحة المرسلة بأن هذا هو حالها حقيقةً، ولأن تجريدها من الدليل الشرعي الذي تستند عليه يجعلها من قبل التشهي النفسي والهوى، لكن دليل المصلحة أقل من دليل القياس، إذ دليل المصلحة يتناول

المصلحة: هي المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأموالهم، وفق ترتيب معين فيما بينها. هذا معناها العام.

الجنس البعيد للمصلحة، وتنضوي ضمن مقاصد الشريعة وكلياتها العامة.

أما دليل القياس فإنه يتناول عينَ الوصف المناسب، ويدل عليه صراحةً، كما في الوصف المؤثر، أو بواسطة جريان الشارع على فقه كما في الوصف الملائم، ومن أجل هذا الاختلاف في مرتبة كل من القياس والمصالح المرسلة وجبَ تقديم القياس على المصالح المرسلة، وعدم اعتبارها إذا تعارضت مع القياس، مع ملاحظة أنه لا يوجد تعارض حقيقي بين ذات كلٍ من المصالح المرسلة والقياس، وإنما يوجد التعارض في نظر المجتهد كما تخيله وبَدَا لرأيه من كون هذا الأمر مصلحة مرسلة أو قياسًا، إذ لا يطلق على أي منهما كونه مصلحة مرسلة أو قياسًا في حقيقة الأمر، إلا إذا سلمَ كلٌّ منهما من عوارض الإبطال والإلغاء.

* الشرط الثالث: عدم تفويت المصلحة المرسلة لمصلحة أهم منها، أو مساوية لها:
من المعروف - عقلًا ونقلًا - أن المصالح تتفاوت في رُتبها من حيث أهميتها، وباعثها، ورجحان وقوعها وعدمه، ومقدار شمولها، وتيقن نتائجها وعدمه، فإذا تعارضت مصلحتان في محل واحد بحيث لا تُنال واحدة منهما إلا بتفويت الأخرى، وجب النظر إليها من خلال درجات التفاوت المذكورة؛ لأن الشرع جاء لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت مصلحتان وجب الأخذ بالأعلى منهما بالنظر إلى درجات التفاوت السالفة، وإن أدَّى ذلك إلى تفويت مصلحة أدنى.

* الشرط الرابع: النظر في السبب المحوج لهذه المصلحة:
وقد نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فقال: إن الناس لا يحدثون شيئًا إلا لأنهم يرونه مصلحة، إذ لو اعتقدوه مفسدة لم يحدثوه، فإنه لا يدعو إليه عقلٌ ولا دين، فما رآه الناس مصلحة نُظر في السبب المحوج إليه؛ فإن كان السبب المحوج إليه حدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم، فهنا قد يجوز إحداث ما تدعو الحاجةُ إليه، وكذلك إن كان المقتضي لفعله قائمًا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن تَرَكَه النبي صلى الله عليه وسلم لمعارض زال بموته.

أما ما لم يحدث، أو يكون هناك سبب يحوج إليه، أو كان السبب المحوج إليه بعض ذنوب العباد، فهنا لا يجوز الإحداث، فكل أمر يكون المقتضي لفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم موجودًا، لو كان مصلحة ولم يفعل علم بأنه ليس بمصلحة، وأما ما حدث المقتضي له بعد موته من غير معصية الخلق فقد يكون مصلحة.

جـ- الصلة بين البدع والمصالح المرسلة:
هناك خلط كبير بين البدعة والمصلحة المرسلة، لكن لمزيد بيان لذلك لا بد أن نبين بعض النقاط في هذا، فأقول:
إن البدعة والمصلحة المرسلة قد تشتركان في بعض المسائل، وقد تفترقان في مسائل أخرى، ولذلك لما كان هناك صلة بين البدع والمصالح المرسلة اختلط الأمر على بعض الناس، وحَسَّنَ بعض العلماء - ومَن ينتسب إلى العلم - بعض البدع، واستساغوها، محتجين بالأعمال والفتاوى التي انبنت على الاستصلاح في عهد الصحابة والتابعين ومَن بعدهم كالأئمة الأربعة، وقد ضربوا لذلك أمثلة للأقسام التي جعلوها للبدعة؛ لأنهم قسموا البدع إلى خمسة أقسام بحسب الأحكام الشرعية الخمسة، وضربوا لها أمثلة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

لقد حدد العلماء شروطاً وضوابط للمصلحة المرسلة تبنى عليها الأحكام الشرعية فلابد من مراعاتها.

تعرَّف على رسول الإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه، وبعدُ:

فإنه يقال في أعراف الناس: «من جهل شيئًا عاداه». وأيًا كان وضوح هذا المثل من عدمه؛ لكن المتفق عليه بين سائر العقلاء أن مَن جهل شيئًا لم يعطه القدر والاهتمام الذي يستحقه.

وكثير من المفتونين يجهلون السيرة العطرة لنبي الإسلام، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولو قرأوا عنه، واطلعوا على منهجه، ودرسوا سيرته؛ لعرفوا أنه أعظم رجل في التاريخ البشري.

إعداد/ جمال عبد الرحمن

لكن جهلهم به أدى بهم إلى اتهامه، واتهام شريعته وأتباعه ظلمًا وعدوانًا، ولقد قرأ عقلاؤهم عنه، وأنصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهدوا أنه مبرؤ من كل ما يشين، لأنه في الحقيقة أرسل رحمة للعالمين. لكن كما قال الله تعالى: «فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ» (الأنعام:٣٣).

والآن لننظر إلى سماحة هذا الدين، وعظمة هذا الصادق الأمين، في المعاملة بالقسط والعدل، والرحمة والعفو، والمروءة والإنسانية؛ خاصةً مع غير المسلمين.

عدله وقسطه صلى الله عليه وسلم في معاملة غير المسلمين:

سنرى الآن نماذج من النصوص الشرعية، والسيرة العملية، التي تمثل تطبيقًا حيًا، واستجابةً لأمر الله تعالى في العدل والقسط بين الناس، ونشر السلام والرحمة، والخير والبركة بين البشرية، ذلك لنعرف ويعرف كل الناس معنا؛ هل يستحق رسول الإسلام والسلام محمد عليه الصلاة والسلام، هذا الهجوم الهمجي، والعناد المتوحش البربري، والإصرار اللاإنساني، أم أنه يستحق أن يُذكر بالخير والثناء في كل صباح ومساء، كما أثنى عليه ربه، ورفع ذكره، وصلى عليه وملائكته، وأمر الناس أن يفعلوا ذلك نحوه عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا» (الأحزاب:٥٦).

لقد علَّم الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام احترام الناس، وأمره- عز وجل- بالعدل والقسط بينهم، ولو كانوا أعداءً، فقال سبحانه له ولأتباعه: «فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟» (النساء:١٣٥)، أي: فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبُغض الناس لكم على ترك العدل، بل الزموا العدل على أي حال كان، كما قال جل وعلا أيضًا: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ» (المائدة:٢).

وكل هذه التوجيهات أوحاها الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وأمره بها، وبلغها الرسول صلى الله عليه وسلم بدوره إلى الناس، ولم يكتم منها شيئًا، بل وألزم أصحابه بفعلها فالتزموا رضي الله عنهم.

ومن هذا قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليخْرُص على أهل خيبر اليهود ثمارهم وزروعهم، يعني يُقدر ويقسم لهم نصيبهم من خراج الأرض التي كانوا يزرعونها للمسلمين؛ فأراد اليهود أن يرشوه ليرفق بهم، فقال رضي الله عنه: «والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليَّ، ولأنتم أبغض إليَّ من أعدادكم من القردة والخنازير، وما يحملني حبي إياه وبُغضي لكم على ألا أعدل فيكم». فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض. (مختصر ابن كثير: ١/٣٢٤، وروح المعاني للألوسي ٦/٨٣).

٢- حرصه على هداية الناس، وليس قتلهم:

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بك». تحفيزًا له على الحرص على إسلام الناس وليس قتلهم:

فلم يكن هدفًا عند النبي صلى الله عليه وسلم قتال الناس وقتلهم، إنما كان أن يسلموا خيرٌ عنده من الدنيا وما فيها، ولذلك أعطى الراية لعلي رضي الله عنه فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «انفذ على رسْلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأنْ يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمر النعم». (متفق عليه). (وحُمر: جمع أحمر، والنّعم: الإبل).

فلم يوافق رسول الله صلى الله عليه وسلم على مبادرة المشركين بالقتال والقتل، وإنما الدعوة والتأني عليهم لعلهم يُسلمون.

ومن ذلك دعوته صلى الله عليه وسلم الغلام اليهودي للإسلام وأبوه جالس:

عن أنَسٍ رضي الله عنه أنَّ غُلَامًا مِنْ الْيَهُود كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَعُودُهُ وَهُوَ بِالْمَوْت فَدَعَاهُ إلى الإِسْلَام فَنَظَرَ الْغُلَامُ إلى أبِيه وَهُوَ عِنْدَ رَأْسه فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِم، فَأَسْلَمَ ثُمَّ مَاتَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ مِنْ عِنْدِه وَهُوَ يَقُولُ الْحَمْدُ لله الَّذي أَنْقَذَهُ بِي مِنْ النَّار.

٣- وفاؤه صلى الله عليه وسلم للعهد، وإن كان مع المشركين:

أ- عند هجرة حذيفة بن اليمان وأبيه:

كان حذيفة وأبوه رضي الله عنهما متجهين إلى المدينة هجرة إلى الله ورسوله، فمنعهما كفار قريش حتى أعطوهم العهد على ألا يقاتلوهم مع محمد صلى الله عليه وسلم.

عن حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ قَالَ مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ قَالَ فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَالُوا إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا فَقُلْنَا مَا نُرِيدُهُ مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ الله وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ فَقَالَ انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ اللَّه عَلَيْهِمْ. (مسلم: ١٧٨٧).

ب- بئر معونة:

خرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة (اسم مكان) أقبل رجلان من بني عامر وقيل من بني سليم حتى نزلا معه في ظل هو فيه، وكان معهما عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يعلم به عمرو بن أمية وكان قد سألهما حين نزلا ممن أنتما؟ قالا: من بني عامر، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أنه قد أصاب منهما ثأره من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،

كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على الوفاء بالعهود مع المشركين حتى يكون ذلك قدوة لأهل الإسلام ودعوة لغير المسلمين.

فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر قال لقد قتلت قتيلين كان لهما مني جوار، لأدينهما. (تاريخ الطبري ٨١/٢).

يعني سيدفع الدية عليه الصلاة والسلام التزامًا منه بالعهد الذي بينه وبين قبيلة القتيلين- بني عامر- وكان عامر بن مالك بن صعصعة أبو براء كبير العامريين وسيدهم قد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم جوارًا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ليأتوا لدعوة أهل نجد إلى الإسلام، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم سبعين رجلاً فقتلوا جميعًا في بئر معونة، وتساهل أبو براء في نصرتهم في جواره إياهم، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهًا متخوفًا».

ج- في صلح الحديبية:

قال ابن إسحاق: قال الزهري: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قالوا: ائت محمدا و صالحه و لا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبدا.

فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه و سلم مقبلا قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل

فلما انتهى سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم تكلم فأطال الكلام و تراجعا ثم جرى بينهما الصلح

فلما التأم الأمر ولم يبقى إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر أليس برسول الله؟ قال: بلى قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: أبو بكر: يا عمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله قال عمر: و أنا أشهد أنه رسول الله

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: بلى قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: أنا عبد الله و رسوله لن أخالف أمره و لن يضيعني

و كان عمر رضي الله عنه يقول: ما زلت أصوم و أتصدق و أصلي و أعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمته يومئذ حت

قال: (ثم دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا و لكن اكتب: باسمك اللهم قال: فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: اكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو قال: فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك و لكن اكتب اسمك و اسم أبيك قال: فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس و يكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم و من جاء قريش ممن مع محمد لم يردوه عليه و أن بيننا عيبة مكفوفة و أنه لا إسلال و لا إغلال و أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد و عهده دخل فيه و من أحب أن يدخل في عقد قريش و عهدهم دخل فيه)

فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في

كثير من المفتونين يجهلون السيرة العطرة لنبي الإسلام، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولو قرأوا عنه، واطلعوا على منهجه، ودرسوا سيرته؛ لعرفوا أنه أعظم رجل في التاريخ البشري.

عقد محمد و عهده و تواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش و عهدهم
وإنك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب: السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها
قال: فبينا رسول الله صلى الله عليه و سلم يكتب الكتاب هو و سهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجوا و هم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون
فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيبه وقال: يا محمد قد لجت القضية بيني و بينك قبل أن يأتيك هذا قال: صدقت فجعل ينتره بتلبيبه ويجره يعني يرده إلى قريش وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتنونني في ديني فزاد ذلك الناس إلى ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك و لمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا و بين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله و إنا لا نغدر بهم)
(سيرة ابن كثير ٢/ ٢٢١).
وهنا التزم النبي صلى الله عليه وسلم بالشرع؛ في الوفاء وعدم الغدر، بعيدًا عن العواطف والمثيرات.

هل رأى العالم الإنساني والتاريخ البشري رجلاً مثل محمد صلى الله عليه وسلم تعرض برسالته إلى الناس كافة، فتعرض في دعوته للأذى من الخاصة والكافة، ثم هو مع هذا كله حليم صبور، كريم شكور، عفو غفور.

فهل رأى العالم الإنساني والتاريخ البشري رجلاً مثل محمد صلي الله عليه وسلم تعرض برسالته إلى الناس كافة، فتعرض في دعوته للأذى من الخاصة والكافة، ثم هو مع هذا كله حليم صبور، كريم شكور، عفو غفور، نعم لم يُرَ ذلك إلا في محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان خلقه القرآن، ولهذا لخص الله تعالى هذا الشخص الكريم، في قوله تعالى: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ».
والحمد لله رب العالمين.

تهنئة واجبة

١- للشيخ الدكتور/ مرزوق محمد مرزوق، عضو مجلس الإدارة واللجنة العلمية بجمعية أنصار السنة المحمدية على أعلى سند في إجازة في القراءة والإقراء في القرآن الكريم في العالم في هذا الزمان برواية حفص عن عاصم، ومجيزه هو الشيخ محمد يونس الغلبان، من تلاميذ الشيخ الفاضلي رحمه الله.
٢- الشيخ عماد عيسى، بجمعة أنصار السنة بفيصل، لحصوله على درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز من كلية أصول الدين بالأزهر الشريف، وكانت الرسالة بعنوان: «الصبغة الحديثية وأثرها في الترجيح بين المذاهب الفقهية».
وأسرة تحرير مجلة التوحيد تتمنى لهما مزيدًا من الرقي والتقدم.

رئيس التحرير

ماذا تقول لربك غدًا؟!

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله مالك يوم الدين والصلاة والسلام على إمام النبيين، وبعد،

فيوم القيامة أهواله عظيمة وأخطاره جسيمة تشيب فيه الولدان وتعرق فيه الأبدان وتفر فيه من الخلان وتقابل الملك الديان وأنت حاف عُريان، فماذا تقول له يا إنسان غدا يوم القيامة؟!؟! قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ)(الحشر: ١٨).

(يوم القيامة) اليوم الذي يلي يومك تقريبًا له، أو عبّر عن الآخرة بالغد، كأنّ الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد، وتنكيره لتفخيمه وتهويله. (البحر المديد: ١٦/٧).

- لابد أن تؤمن وتصدق بلقاء الله تعالى يوم القيامة:

- قال تعالى: (الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ) (البقرة: ١- ٣). ومَعْنَى الْإِيمَانِ، الَّذِي هُوَ تَصْدِيقُ الْقَوْلِ بِالْعَمَلِ، وَالْإِيمَانُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِلْإِقْرَارِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَتَصْدِيقُ الْإِقْرَارِ بِالْفِعْلِ. «يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» قَالَ: يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَجَنَّتِهِ وَنَارِهِ وَلِقَائِهِ، فَهَذَا غَيْبٌ كُلُّهُ. تفسير ابن كثير (١٦٠/١).

فمن آمن وصدق كان من أهل الهدى والفوز: (أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) (البقرة: ٥).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ» (صحيح البخاري: ٥٠).

اللِّقَاءُ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْبَعْثِ عِنْدَ الْحِسَابِ (شرح النووي: ١٦٢/١).

البداية: يُنادى عليك باسمك واسم أبيك في أرض المحشر يوم القيامة لتقف أمام الملك الديان للحساب.

قال تعالى: (وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ) (ق: ٢١).

- تُنادي الملائكة: أين فلان بن فلان؟! فإذا تَيَقَّنْتَ أنك أنت المطلوب، وقرع النداء قلبك؛ فاصفر لونك، وتغير وجهك، وطار قلبك، وقد وُكِلَت الملائكة بأخذك أمام الخلق أجمعين، على رءوس الأشهاد، ويرفع الخلائق جميعاً أبصارهم إليك وأنت في طريقك للوقوف بين يدي الملك تتخطى الصفوف! قال تعالى: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ

ظُهُورِكُمْ) (الأنعام: ٩٤).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ عَلَى المِنْبَرِ، يَقُولُ: «إِنَّكُمْ مُلَاقُو اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» (رواه البخاري: ٦٥٢٥) الغرل: ومفردها الأغرل وهو الذي لم يُخْتَن.

أسألك بالله أن تتصور هذا المشهد الذي يكاد يخلع القلوب! تتخطى الصفوف: صفوف الملائكة صفوف الجن صفوف الإنس في أرض المحشر؛ لترى نفسك واقفاً بين يدي الحق جل جلاله؛ ليكلمك الله، قال تعالى: «وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ» أَيْ: قِفُوهُمْ حَتَّى يُسأَلوا عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمُ الَّتِي صَدَرَتْ عَنْهُمْ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا. (تفسير ابن كثير: ٩/٧).

- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ...) سنن الترمذي (٢٤١٦).

- عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» مسلم (١٠١٦).

-أي يقف أمام الله دون حائل، ويكلمه مباشرة بدون واسطة ترجمان، لأن الله عليم بكل اللغات. منار القاري (١٥/٣).

- قَالَ ابنِ هُبَيْرَةَ: نَظَرُ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ هُنَا كَالْمَثَلِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ شَأْنِهِ إِذَا دَهَمَهُ أَمْرٌ أَنْ يَلْتَفِتَ يَمِينًا وَشِمَالًا يَطْلُبُ الْغَوْثَ قُلْتُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُ الِالْتِفَاتِ أَنَّهُ يَتَرَجَّى أَنْ يَجِدَ طَرِيقًا يَذْهَبُ فِيهَا لِيَحْصُلَ لَهُ النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ. فتح الباري (٤٠٤/١١).

ومما يسأل فيه العبد يوم القيامة ما يأتي:

أولا: يسأل الملك عن حقوقه يوم القيامة منها:

١- الإخلاص لله تعالى في كل الأقوال والأفعال: قال تعالى: (وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ) (البينة: ٥).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ-فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ "- ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ،- فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: - وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ،-فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ - ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. صحيح مسلم (١٩٠٥).

- قال تعالى: (وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا) (الفرقان: ٢٣)، (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ» أي: أعمالهم التي رجوا أن تكون خيرا لهم وتعبوا فيها، «فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا» أي باطلا مضمحلا قد خسروه وحرموا أجره وعوقبوا عليه وذلك لفقده الإيمان فالعمل الذي يقبله الله ما صدر عن المؤمن المخلص المصدق للرسل المتبع لهم فيه. تفسير السعدي (٥٨١/١).

- هؤلاء قاموا بأعمال عظيمة ولها أجور أثقل من الجبال ولكنهم فقدوا الأساس ألا وهو الإخلاص فانهارت عليهم في نار جهنم خسروا الدنيا والآخرة.

- وقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَازِي وَالْعَالِمِ

وَالْجَوَاد وَعِقَابهُمْ عَلَى فِعْلهمْ ذَلِكَ لِغَيْرِ اللَّه وَإِدْخَالهمْ النَّار دَلِيل عَلَى تَغْلِيظ تَحْرِيم الرِّيَاء وَشِدَّة عُقُوبَته وَعَلَى الْحَثّ عَلَى وُجُوب الْإِخْلَاص فِي الْأَعْمَال وفيه أن العمومات الْوَارِدَة فِي فَضْل الْجِهَاد إِنَّمَا هِيَ لِمَنْ أَرَادَ اللَّه تَعَالَى بِذَلِكَ مُخْلِصًا، وَكَذَلِكَ الثَّنَاء عَلَى الْعُلَمَاء وَعَلَى الْمُنْفِقِينَ فِي وُجُوه الْخَيْرَات كُلّه مَحْمُول عَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَى مُخْلِصًا. شرح النووي(١٣/٥٠).

- اجعل شعارك دائما حتى تنجو قوله تعالى:- (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ) (الأنعام: ١٦٢- ١٦٣).

٢- عن الفرائض وأولها الصلاة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ». (سنن الترمذي: ٤١٣، سنن النسائي: ٤٦٥).

- (مِنْ عَمَلِهِ طاعاته (صَلَاتُهُ): الْفَرِيضَةُ (فَإِنْ صَلُحَتْ) صَلَاحُهَا: بِأَدَائِهَا صَحِيحَةً. أَوْ بِوُقُوعِهَا مَقْبُولَةً. (فَقَدْ أَفْلَحَ) فَازَ (وَأَنْجَحَ) فَيَكُونُ فِيهِ تَأْكِيدٌ، أَوْ فَازَ بِمَعْنَى خَلَصَ مِنَ الْعِقَابِ، وَأَنْجَحَ، أَيْ حَصَلَ لَهُ الثَّوَابُ، (وَإِنْ فَسَدَتْ): بِأَنْ لَمْ تُؤَدَّ أَوْ أُدِّيَتْ غَيْرَ صَحِيحَةٍ، أَوْ غَيْرَ مَقْبُولَةٍ، (فَقَدْ خَابَ) بِحِرْمَانِ الْمَثُوبَةِ (وَخَسِرَ) بِوُقُوعِ الْعُقُوبَةِ وَقِيلَ: مَعْنَى خَابَ نَدِمَ وَخَسِرَ، أَيْ صَارَ مَحْرُومًا مِنَ الْفَوْزِ وَالْخَلَاصِ قَبْلَ الْعَذَابِ. (مرقاة القاري: ٣/٩٩٧).

- لماذا لا تحافظ على الصلاة؟ ما الذي يمنعك؟

- تقول مشغول بقضية الرزق، لا تحمل هم الرزق؛ لأن الله الرزاق ضمن لك الرزق - قال تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) (طه: ١٣٢).

ماذا تقول لربك؟؟

٣- السؤال عن النعيم: قال تعالى: (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) (التكاثر: ٨). ثم لتسألنَّ في الآخرة عن نعيم الدنيا من الأمن والصحة، وسائر ما يُتلذذ به من مطعم، ومشرب، ومركب ومفرش. صفوة التفاسير (٣/٥٧٢).

أ- لَتُسْأَلُنَّ عَنِ النَّعيم: من أين نلتموه؟ وفيم أنفقتموه؟ أمن حلال وفي حلال؟ أم من حرام وفي حرام؟ هل شكرتم؟ «لَتُسْئَلُنَّ»عما تتكاثرون به وتتفاخرون فهو عبء تستخفونه في غمرتكم ولهوكم ولكن وراءه ما وراءه ! هم ثقيل! عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي الْعَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ. (سنن الترمذي (٣٣٥٨) وصححه الألباني).

ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ:أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ، فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ" مسلم(٢٩٦٨)

- (فيلقى العبد فيقول: أي فل) يا فلان ألم أكرمك« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ » (الإسراء:٧٠) (وأسودك) أي: أجعلك سيداً ولم أجعلك عبداً من العبيد بل جعلتك سيداً حراً (وأزوجك)، أي: أعنتك على أن تزوجت (وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع) أي: تركتك تكون

رئيساً في قومك وكبيراً، وتربع أي: لك رباع ودور وحقول وبساتين، وغيرها في الدنيا، (فيقول العبد: بلى، قال: أفظننت أنك ملاقيّ؟) أي: هل اعتقدت أن هناك بعثاً ونشوراً وجنة ونارًا يوم القيامة؟ قال: فيقول: لا، أخذت هذا كله ونسيتك يا رب فيقول الله عز وجل: (فإني أنساك كما نسيتني) فكما نسيت ربك سننساك في النار أي: نتركك مهملاً، لا ننظر إليك، فنعاملك معاملة المنسي، ولا ينسى ربك أحداً، ومعنى: ننساك أي: نتركك كما يُترك المنسي.

ثم الثاني مثل ذلك - ثم يلقى الثالث: فيقول له مثل ذلك، فيجيب هذا العبد، فيقول: يا رب! آمنت بك وبكتابك وبرسلك، وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع، فيقول الله عز وجل: ههنا) أي: قف مكانك، ثم يقال له: (الآن نبعث شاهدنا عليك)، فيتفكر العبد في نفسه، من سيشهد علي، فيُختم على فيه، ويُقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، فهو كذب في الدنيا ويُريد أن يكذب على الله يوم القيامة، خدع في الدنيا ويريد أن يخدع يوم القيامة فخدعه الله كما خدع الناس في الدنيا، وجعل أعضاءه تشهد عليه، قال: وذلك الذي يسخط الله عليه، والمنافق في الدرك الأسفل من النار أي: في قعر جهنم. تفسير أحمد حطيبة (٣/ ٤٠١).

- قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (يس: ٦٥).

ج-العبد المؤمن:

عن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يُدْنَى المُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ. (رواه البخاري: ٤٦٨٥، ومسلم ٢٧٦٨).

(كنفه) هُوَ الْجَانِب والناحية، وَهَذَا تَمْثِيل لجعله تَحت ظلّ رَحمته يَوْم الْقِيَامَة، وَقَالَ ابْن الْأَثِير: حَتَّى يضع عَلَيْهِ كنفه أَي يستره، وَقيل: يرحمه ويلطف به. عمدة القاري (١٨/ ٢٩٥)

٤-السؤال عن خمس: عَنْ ابْنِ مَسْعُود، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ» سنن الترمذي (٢٤١٦).

-وفي يوم القيامة تعدد الأهوال ومن ذلك الأسئلة الخمسة التي يُسأل عنها كل فرد وهي كما يلي:

السؤال الأول: كيف قضى عمره المحدود في الحياة الدنيا وهل كان مؤمنا موحدا أو كان فاسقا عاصيا؟.

السؤال الثاني: كيف مرت فترة الشباب التي عاشها؟ هل كانت في طاعة الله ومرضاته أم في معصية؟

السؤال الثالث: من أين اكتسب المال الذي هل من حلال ومباح أم من غش وخداع أم من استحلال المحرمات كالربا والخمر والملهيات بأنواعها؟

السؤال الرابع: ما هي طرق إنفاق ذلك المال؟ هل أدى حق الله فيها وكان نعم المال الصالح للرجل الصالح؟ أم أنفقت فيما لا يرضي الله عز وجل ولا يعود بالنفع.

السؤال الخامس: ماذا كانت نتيجة العلم الذي تحصل عليه؟ هل كان علما نافعا وعمل به وأدى زكاته؟ أم أعرض عنه وجعله مطية للحياة الفانية فقط وكان ممن آمن ببعضه وكفر بالبعض الآخر. المفصل في شرح آية (لا إكْرَاهَ فِي الدِّين) (٢/ ٢٠٣)

٥- السؤال عن الجوارح: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾. (الإسراء ٣٦)، فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسئول عما قاله وفعله وعما استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته أن يعد للسؤال جوابا، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله وإخلاص الدين له وكفها عما يكرهه الله تعالى. تفسير السعدي (١/ ٤٥٧)

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

ما يعنيه مسمى (الذات) الوارد في مقولة سلف الأمة:

«إنه تعالى فوق العرش بذاته، ومع خلقه وفي كل مكان بعلمه»

الحلقة (١٢)

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإن منكري صفات الله تعالى بالكلية من نحو الجهمية، أو متأولي جُلها من نحو المعتزلة ومتأخري الأشاعرة، جعلوا يتفننون في إنكار اسم أو مسمى (الذات) له تعالى أو حملها على غير ما هي له، فتراهم لا يُسيغون أن يقال مثلاً: (استوى بذاته) و(ينزل بذاته)، و(يجيء بذاته)، اعتقاداً منهم أن كلمة (الذات) إذا تعلقت بفعل، قُيدت وانحصرت معانيها في المعنى الحسي الجسماني، وبدعوى أنها لم يرد بها نص ولم تجئ على لغة العرب إلا مؤنثة بمعنى (صاحبة)، ومن ثَمَّ كان هذا بزعمهم مناقضاً لقولنا: (لا كاستوائنا) و(لا كنزولنا)، و(لا كمجيئنا).

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

والحق أن هذا من الخطأ بمكان، ذلك أن لفظة (الذات) «إذا قطعت عن هذا المعنى واستعملت بمعنى الاسمية، فلا محذور – على حد قول المقري في المصباح المنير ص ٢١٢ وابن حجر في الفتح ١٣ / ٣٩٣ – لقوله تعالى: (إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ) (الأنفال: ٤٣) أي بنَفْس الصدور، ولكون استعمالها بمعنى النَّفْس صار عرفاً مشهوراً»، وأن الأصل على ما تقتضيه لغة العرب: أن كل فعل أسند إلى فاعل، كان معنى ذلك الفعل قائماً به ووصفاً له وحقه أن يسند إليه، ما لم تأت قرينة تصرفه عن فاعله الحقيقي، فإذا قلنا: (جاء فلان)، فالمراد: جاء هو بنفسه، لا خادمه ولا رسوله، وكذا القول – ولله المثل الأعلى – في: (وَجَآءَ رَبُّكَ) (الفجر: ٢٢).. وكذلك إذا خُصصت الكلمة بإضافة كما في قولنا مثلاً: (ذات الله)، فإنه يلزم أن يكون المضاف من جنس المضاف إليه لاسيما فيما يتنوع فيه المضاف بتنوع المضاف إليه فيكون بحسبه، أو خصصت بوصف كما في قولنا: (الذات الإلهية)، فإنه يلزم أن يكون الوصف مفسِّراً للموصوف، ومخصِّصاً ومبيِّناً ومؤكِّداً له، وكاشفاً عن معناه.. ذلك أن الألفاظ التي تستعمل في حق الخالق والمخلوق – كما سبق أن أشرنا – لها ثلاث اعتبارات:

أن تكون مقيدة بالخالق، كـ (سمع الله وبصره ووجهه واستوائه ونزوله وعلمه وقدرته وحياته)، فهذه لا يصلح إلا أن تكون حقيقة له جل وعلا.. أو تكون مقيدة بالمخلوق، كـ (يد الإنسان ووجهه ويديه واستوائه)، وهذه لا تصلح إلا أن تكون حقيقة للمخلوق، كلٌ بحسبه.. أو تجرد عن كلا الإضافتين وتوجد مطلقة، وهذه – فيما يعرف بالمشترك اللفظي – يلزم أن تكون حقيقة فيهما.

وعليه، فإذا جاءت الآية بلفظ: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) (طه: ٥)، أو جاء الحديث المتفق عليه بلفظ: (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا).. إلخ، كان المراد: استواؤه تعالى ونزوله (بذاته) لا أحد غيره، وإنما قَصَد أهل السنة من وراء التصريح بهذه اللفظة إبَان شرحهم للآية والحديث – مع أننا لا نحتاج إليها لوقوع الخبر عن نفس ذات الله تعالى لا عن غيره –: إفادة أن استواءه سبحانه ونزوله إنما هو على وجه لا نقص فيه، ولا يشبه استواء ونزول المخلوقين، وأيضاً إفادةَ صون صفاته تعالى من التحريف، وبيان ثبوت المعنى الذي نفاه المؤولة، آية ذلك: إجماع الصحابة والسابقين على حمل عبارة الآية والحديث التي

سمعوهما عن النبي صلى الله عليه وسلم على ظاهرها، إذ لم يأت عنهم حرف واحد يقول بأن المراد: يستولي، أو تنزل رحمته، أو ينزل أمره أو مَلك من ملائكته، لكن لما أحدث هؤلاء المحرِّفون، ما سبق ذكرُه من تأويلات، وطفقوا يسوقون الشبه، احتاج أئمة المسلمين إلى أن يقولوا: (يستوي بذاته)، و(ينزل بذاته)، ليبينوا أن استواءه تعالى ونزوله، إنما هو استواء ونزول حقيقيان يليقان به، وكذا في سائر ما وصف الله به تعالى نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم.

المعنى الحقيقي للفظة «الذات»:

ومن هذا يُعلم: أن لفظة (ذات) وإن كانت مؤنثة (ذو)، إلا أن الشرع والعرف وضعاها للدلالة على (النَّفْس) و(عين الشيء)، يقول الراغب بعد أن ذكر أن لفظ (ذات) أصلها (ذو): «وقد استعاروا لفظ (الذات) لـ (عين الشيء)، واستعملوها مفردة ومضافة، وأدخلوا عليها الألف واللام، وأجروها مجرى النَّفْس»، وأضحت تعني: (اسم مستقل قديم مع الله تعالى، عَرَّفه الرب إلى عباده)، قال النووي متعقباً من أنكرها على أهل السنة: «وهذا الإنكار منكر، فقد قال الواحدي في قوله تعالى: (فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ) (الأنفال: ١). قال ثعلب: (أي الحالة التي بينكم)، فالتأنيث عنده للحالة، وقال الزجاج: (معنى ذات: حقيقة)»، ذكره في الفتح، وقال الشريف الجرجاني في معجم التعريفات، إنها: «الاسم الأعظم الجامع لجميع الأسماء، وقيل: هو الله، لأنه اسم الذات الموصوفة بجميع الصفات»، ومما يؤكد أن (الذات) اسم مستقل، ما ذكره النحويون من تقسيم الاسم إلى: اسم معنى واسم ذات، وأن التمييز يفسر الإبهام في اسم الذات الذي قبله، وأنه لا يُخبَر بالزمان عَن الذات.

طرفاً من أقوال أئمة أهل السنة في ذكر لفظة (بذاته) صوناً للصفات عن التحريف:

ونذكر من كلام أهل العلم المنصوص فيه على كلمة (بذاته):

١- ما جاء عن أبي حنيفة (ت ١٥٠) من قوله كما في شرح الطحاوية ص ٢٥٣ وجلاء العينين ص ٣٦٨: «لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه».

٢- قول سفيان الثوري (ت ١٦١) - كما في (ذم الكلام وأهله) للأنصاري (٩٠٨) - «عليكم بالأثر، وإياكم والكلام في ذات الله».

٣- ما جاء عن الإمام مالك (ت ١٧٩) من قوله فيما رواه ابن عبد البر في التمهيد ٧/ ١٤٥ «من وصف شيئا من ذات الله تعالى مثل قوله: (وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ) (المائدة:٦٤)، وأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله: (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ) (الشورى: ١١)، فأشار إلى عينيه أو أذنيه أو شيء من بدنه، قُطع ذلك منه؛ لأنه شبّه الله بنفسه»، وهذا دليل على أن السلف لا يشبهون ولا يمثلون، والمقصود من كلام الإمام مالك: من قال ذلك على سبيل التشبيه؛ بدليل قوله: (لأنه شبه الله بنفسه)؛ فقد ورد في قوله تعالى: (وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا) (النساء: ١٣٤) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أشار إلى عينيه وأذنه، وورد حديث القبض بيده وهو على المنبر، وحديث الأصابع، وحديث الحبر اليهودي؛ غير أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر ذلك، إنما أراد حقيقة الصفة وأراد إثباتها.

٤- ما ورد عن الإمام أحمد(ت ٢٤١)، فيما ذكره الخلال في السنة ٦/ ١٨عن محمد بن سليمان أنه قال لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: ما تقول في القرآن؟، قال: عن أي شيء تسأل؟، قلت: كلامه، قال: (كلام الله، وليس بمخلوق ولا تجزع أن تقول ليس مخلوق، فإن كلام الله من الله ومن ذات الله، وتَكلَّم الله به وليس من الله شيء مخلوق).

٥- قول المزني إمام عصره (ت ٢٦٤) في (شرح أصول السنة) ص ٧٥، ٨٩: إنه سبحانه „عالٍ على عرشه في مجده بذاته"، وحكايته الإجماع على ذلك قائلاً: „هذه مقالاتٌ وأفعالٌ اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى، وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوةً ورضاً".

٦- قول سهل التستري (ت٢٨٣)- فيما نقله عنه الطحاوي (ص١٦١)- وقد سئل عن ذات الله: „ذات الله موصوفة بالعلم، غير مُدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبى، ظاهراً في ملكه وقدرته، وقد حُجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلهم عليه

بآياته، فالقلوب تعرفه والعيون لا تدركه، ينظر إليه المؤمن بالأبصار من غير إحاطة، ولا إدراك نهاية".

٧- ما أفاض فيه العلامة أبو بكر محمد بن موهب المالكي (ت٤٠٦)، قال في شرحه لرسالة الإمام أبي محمد بن أبي زيد – وقد نقله عنه الذهبي في العلو وابن القيم في اجتماع الجيوش –: „وأما قوله: (إنه فوق عرشه المجيد بذاته)، فإن معنى (فوق) و(علا) عند جميع العرب واحد، وفي كتاب الله وسنة رسوله تصديق ذلك، ثم ساق الآيات والأحاديث في إثبات العلو، وبين أن علوه فوق عرشه إنما هو بذاته، لأنه تعالى بائن عن جميع خلقه بلا كيف، وهو في كل مكان بعلمه لا بذاته".

٨- وقول أبي نصر السجزي (ت ٤٤٤) وقد ساق هو الآخر عليه الإجماع، فقال في كتابه الإبانة – ونقله عنه غير واحد –: „أئمتنا كسفيان الثوري ومالك وسفيان بن عيينة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك وفضيل وأحمد وإسحاق، متفقون على أن الله بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان".

٩- قول ابن بطال (ت ٤٤٩) فيما ساقه له صاحب (فتح الباري) ١٣/ ٣٩٤، قال: „أسماء الله تعالى على ثلاثة أضرب، أحدها: يرجع إلى ذاته وهو الله، والثاني: يرجع إلى صفة قائمة به كـ (الحي)، والثالث: يرجع إلى فعله كـ (الخالق)؛ وطريق إثباتها جميعاً: السمع، والفرق بين صفات الذات وصفات الفعل: أن صفات الذات قائمة به، وصفات الفعل ثابتة له بالقدرة ووجود المفعول بإرادته جل وعلا"أ.هـ.. وما جاء في نظيره من أقوال أهل العلم المتضافرة على جواز إطلاق اسم (الذات) عليه تعالى، والمجمعة على تقسيم صفات الله إلى صفات ذات وصفات فعل.

١٠- كلام أئمة أهل العلم ممن سبق أن ذكرنا مقولاتهم بهذا الخصوص في مقالات سالفة، من نحو: ابن أبي شيبة، وابن أبي زيد القيرواني في رسالته في مذهب مالك، والسجستاني والثعلبي والطلمنكي والكرجي والجيلي وابن رجب الحنبلي وابن أبي زيد المغربي وغيرهم.

١١- كلام من سبق أن ذكرنا نصوصهم في بطلان أنه تعالى (بذاته) في كل مكان، والإنكار الشديد على من ادعى ذلك، من نحو ما قاله الحارث المحاسبي وعلي بن عاصم شيخ أحمد والبيهقي ود. هراس في شرح الواسطية.

كذا بما يعني من مفاد كلام الكافة: أن قول السلف (بذاته)، إنما جاء في مقام التأكيد والتنصيص على نفي المشابهة عنه جل وعلا، والرد على المعطلة الذين يفسرون صفات الله بما قام به غيره، وينكرون أن يقوم بذات الله تعالى صفة متعلقة بمشيئته، فيقولون: (نزوله: نزول أمره، ومجيئه: مجيء ثوابه)، وهكذا، فكان الشأن في ذكرهم لها، شأن زيادتهم لفظ (بائن) في مقام إثباتهم لعلو الله تعالى، وذلك رداً على الجهمية الذين يزعمون أنه تعالى بذاته في كل مكان، وشأن قولهم: (حقيقةً) في تأكيد حقيقة الصفة وردّ من جعلها مجازاً، إذ „لو كانت الصفات تَرِدَ إلى المجاز، لبطل أن يكون ثمة صفات لله، وإنما الصفة – على ما يقتضيه العقل والنقل – تابعة للموصوف، فهو موجود حقيقة لا مجازاً وكذلك جميع صفاته، فإذا كان سبحانه لا مثل له، لزم أن تكون صفاته لا مثل لها" على ما نص عليه الذهبي في العلو ص ١٧٥.

١٢- ما أسس له أئمة السنة في إثبات (الذات) ودلالاتها من نحو قولهم: „والأصل، أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات"، وتلك عبارة الخطيب في بيان ما أجمع عليه السلف، وعبارة ابن مندة في كتاب التوحيد ٢/ ٦٨: „ذات الله خلصت بانفراد الوحدانية من كل شيء، وبانت عن كل شيء، وأخلصت به القلوب إلى توحيد الله وسلمت"، وعبارة المقدسي ت ١٠٣٣ في أقاويل الثقات: „إن الصفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته ثابتة"، إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

١٣- ما عنونوا له في كتب الاعتقاد لإثباتها، من نحو ما فعل اللالكائي في شرح أصول السنة ٤٤١/١ في (سياق ما روى عن النبي في النهي عن التفكير في ذات الله)، والبيهقي في (الأسماء والصفات) بـ (باب: ما ذكر في الذات)، وابن أبي العز في (شرح الطحاوية) بـ (باب حرمة الخوض في ذات الله)،

وابن حجر في الفتح ١٣/ ٣٩٣ بـ (باب: ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله، وقال خبيب: وذلك في ذات الإله، فذكر الذات باسمه تعالى).. إلخ.

القرائن الشرعية في إطلاق اسم (الذات) بحق الله تعالى، وأوجه دلالتها:

على أن ما سبق ذكره من التعليل لذكر أئمة السلف للفظة (الذات)، لم يمنعهم أن يسردوا ما تيسر من النصوص الوارد فيها هذه اللفظة في الحديث وفي كلام الصحابة، وذلك لشدة علاقتها بصفات الله تعالى، ونذكر من هذا:

١- ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما، من طريق أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لم يكذب إبراهيم قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (الصافات/ ٨٩)، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ (الأنبياء/ ٦٤)، وواحدة في سارة: (إنك أختي).. وفيه رد على ما زعمت الجهمية والمعطلة والمؤوِّلة أن الذات هنا، هي: الحق، وهو باطل قطعاً، إذ ليس يمكن أن يضاف إلى الله تعالى شيء ثم لا يكون مُتصفا به، وإن صح لهم هذا في موضع معين - ولن يصح - فلن يصح تأويلهم هذا في شتى المواضع، فقد تواترت الأحاديث بإثبات الذات لله تعالى، وهو قول جميع المسلمين.

٢- وما روي عن ابن عباس من قوله صلى الله عليه وسلم: (تفكروا في كل شيء، ولا تفكروا في ذات الله)، قال عنه ابن حجر في الفتح١٣/ ٣٩٤: "موقوف، وسنده جيد"، كما حسنه بشواهده الألباني في الصحيحة ٤/ ٣٩٥.

٣- ما ورد في قصة خُبيب بن عدي، وقد أخرجها البخاري في الصحيح (٧٤٠٢) من طريق أبي هريرة، وفيها: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عشرة من الصحابة، في السرية التي غدر بهم المشركون، منهم خبيب الأنصاري، قال أبو هريرة: فأخبرني عبيد الله بن عياض أن ابنة الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا، استعار خُبيب منها موسى يستحدُّ بها، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه، قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً
على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يُبارك على أوصال شلو مُمزَّع

فقتله عقبة بن الحارث، فأخبر النبي أصحابه يوم أصيبوا خبرهم)، فهذا إمام المحدثين - وقد تبعه كثيرون - قد احتج بهذا الخبر على إطلاق الذات على اسم الله تعالى، وهو قول جميع المسلمين إلا الجهمية ومقلديهم من المتعصبين، الذين زعموا أن الذات هي الحقَ، مخالفين بذلك أئمتنا ومحدثينا.

٤- ما رواه أحمد في مسنده ٨٦/٣ من طريق أبي سعيد الخدري، قال: اشتكى الناس علياً الناس فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً، فسمعته يقول: (أيها الناس لا تشكوا علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله)، قال الحاكم (١٤٤/٣): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، و(أو) هذه: للتنويع، ووردت متابعته بلفظ: (.. فوالله لهو أخيشن في ذات الله، وفي سبيل الله)، وبلفظ: (.. فوالله إنه لأخيشن في ذات الله).

٥- ما أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٢٤٩ عن أبي ذر، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الجهاد أفضل؟ قال: (أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله)، والحديث له عدة شواهد منها: ما رَوى أبو نعيم من طريق آخر أن رجلاً سأل عبد الله بن عمرو بن العاص أي المجاهدين أفضل؟، قال: (من جاهد نفسه في ذات الله).. وما رواه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة بلفظ: فأي المهاجرين أفضل؟، قال: (من جاهد لنفسه وهواه في ذات الله)، وهذا كما في الصحيحة (٣/ ٤٨٣، رقم ٤٨٣) حديث صحيح.

٦- ما جاء عن عبد الرحمن بن عوف، وكان به إحدى وعشرون جراحة وهتم، وجرح في رجله، فعرج من ذلك الجرح وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه وكان أخاها لأمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام: (القَها، فأرجعها لا ترى ما بأخيها)، فلقيها الزبير بن العوام، فقال لها: يا أمه، إن رسول الله يأمرك أن ترجعي، فقالت: ولِمَ، وقد بلغني أنه قد مُثل بأخي، وذلك في ذات الله؟!).. إلى غير ذلك من الأخبار التي يضيق المقام بذكرها..

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث..

والحمد لله رب العالمين.

الحلقة
١٧٦

تحذير الداعية
من القصص الواهية

قصة قراءة الله تعالى طه ويس قبل خلق آدم

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت على ألسنة القصاص والوعاظ نتيجة وجودها في كتب السنة الأصلية، بل ومن أئمة التوحيد من أهل السنة والجماعة من جعل هذه القصة من الأدلة التي يستدلون بها على أن القرآن من صفات الله القديمة والتي أخرجوها في مصنفاتهم في أصول اعتقاد أهل السنة ومنهم من اتخذها دليلاً من أدلة السنة على الفرق بين خلق الله وبين كلام الله كما سنبين في التخريج، بل يزعم المتصوفة والطرقية أن هذه القصة تكريم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم من قبل خلق آدم عليه السلام في كتب الحديث الأصلية وسنبين أن هذا الحديث منكر، كان سببًا في اشتهار هذين الاسمين من بين أسماء الناس، وكذلك سنبين أن هذه القصة واهية، وفي هذا البيان تنقية لأدلة اعتقاد أهل السنة والجماعة، حتى لا يتقول علينا أهل البدع والضلال الذين ينشرون سمومهم خاصة في هذه الأيام في الصحف والمجلات والقنوات، والله المستعان.

أولاً: المتن:

رُوي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف عام، فلما سمع الملائكة القرآن قالوا: طوبى لأمة تنزل هذا عليها، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسن تكلم بهذا».

ثانيًا: التخريج:

١- هذا الخبر الذي جاءت به قصة «قراءة الله تعالى طه ويس قبل خلق آدم» أخرجه الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٥٢/٥) (ح٤٨٧٣) قال: حدثنا عبدوس بن ديزويه الرازي، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: حدثنا إبراهيم بن المهاجر بن مسمار، قال: حدثنا عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة عن أبي هريرة قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قرأ طه، يس...» القصة.

٢-وأخرجه الحافظ أبو بكر عمرو بن أبي عاصم في «السنة» باب في «ذكر كلامه تبارك وتعالى» (ح٦٠٧) قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي به.

٣- وأخرجه الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب «التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل» (ح٢٣٦) باب (٤١): «الأدلة من السنة على الفرق بين خلق الله وبين كلام الله» قال: حدثنا أبو هشام زياد بن أيوب قال: حدثنا إبراهيم- يعني ابن المنذر الحزامي به.

٤-وأخرجه الإمام الحافظ الدارمي في «السنن» (ح٣٤١٤) قال: حدثنا إبراهيم بن المهاجر بن مسمار به.

٥- وأخرجه الحافظ أبو بكر أحمد بن علي البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٦٠) قال: أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن إبراهيم المهراني، وأبو النصر بن قتادة قالا: أخبرنا محمد بن إسحاق بن أيوب الصبغي، حدثنا الحسن بن علي بن زياد السري حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي به.

٦- وأخرجه الحافظ هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣٦٤/١) (ح٣٦٨) قال: أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن علي، قال: حدثنا حمزة بن القاسم بن عبد العزيز، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر به.

٧- وأخرجه اللالكائي أيضًا (ح٣٦٩) قال: وأخبرنا علي بن محمد بن أحمد بن بكران، قال: أخبرنا الحسن بن محمد بن عثمان، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر به.

٨-وأخرجه الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي في «الكامل» (٢١٦/١/ ٦٠) قال: حدثنا يحيى بن محمد بن عمران بن أبي الصفيراء البالسي، وعبد الله بن موسى بن الصقر، وأحمد بن موسى بن زنجويه واللفظ له وعمران بن موسى السختياني قالوا: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحراني به.

٩-وأخرجه الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي في «الضعفاء الكبير» (٦٦/١/ ٦٥) قال: حدثنا محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر به.

١٠-وأخرجه الإمام الحافظ ابن حبَّان في «المجروحين» (١٠٨/١) وقال: أخبرناه عمران بن موسى حدثنا إبراهيم بن المنذر الجزامي به.

١١-وأخرجه الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في «الموضوعات» (١٠٩/١) باب: «ما ذكر أن الله تعالى قرأ طه ويس قبل خلق آدم» قال:

أ- أنبأنا أبو البركات على البزار، قال: أنبأنا أحمد بن علي الطرثيثي، أخبرنا هبة الله بن الحسن اللالكائي قال: أخبرنا علي بن محمد بن أحمد بن بكران به.

ب- وأخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، قال: أخبرنا إسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي، قال: أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي قال: حدثنا أبو أحمد بن عدي الحافظ قال: حدثنا أحمد بن موسى بن زنجويه به.

جـ- وأنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، قال: أخبرنا محمد بن المظفر الشامي قال: أخبرنا أحمد بن محمد العتيقي قال: أخبرنا يوسف بن الدخيل قال: أخبرنا أبو جعفر العقيلي به.

ثالثًا: التحقيق:

١- هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة قال الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٥٢/٥): «لا يُروى هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد، تفرد به إبراهيم بن المنذر».

٢- قلت: ومما أوردناه آنفًا من التخريج يتبين التطبيق العملي لهذه القاعدة التي أوردها الحافظ الطبراني (٢٦٠هـ- ٣٦٠) في كتابه «المعجم الأوسط» هذا الكتاب الذي ظهر فيه منهجه من سعة روايته وكثرة اطلاعه على

طرق الحديث وتمييز الطرق التي اشترك فيها عدد من الرواة عن هذا الراوي، عن الطرق التي انفرد بها بعض الرواة عن بعض، وهذا الأمر لا ينقاد إلا لإمام جهبذ من جهابذة هذا الفن الدقيق الواسع، وقد تعب كثيرًا في إخراج هذا الكتاب بهذا المنهج لذلك كان يقول: «هذا الكتاب روحي». اهـ.

قلت: فقوله: «لا يروي هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد تفرد به إبراهيم بن المنذر». اهـ.

أ- يدل على أنَّ هذا الحديث «فرد مطلق».

كما هو مقرر عند علماء الصناعة الحديثية حيث بين ذلك الحافظ السخاوي في «فتح المغيث» (٣٨٤/٣)- ط. دار المنهاج الرياض- قال: «الفرد المطلق هو الحديث الذي لا يعرف إلا من طريق هذا الصحابي ولو تعددت الطرق إليه». اهـ.

ب- ويدل أيضًا على أن هذا الحديث تفرد به إبراهيم بن المنذر فما فوقه، حيث إن هذا الحديث لا يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد، ويحتسب من لا دراية له أن هذا أمر هين، ولكنه عظيم عند من الحديث صناعة، حيث يتبين أن رواة هذا الحديث من إبراهيم بن المنذر فما فوقه لا يوجد لهم متابعات تامة أو قاصرة.

٣- قلت: وهذا الخبر الذي جاءت به قصة «طه ويس» فيه علتان:

الأولى: إبراهيم بن المهاجر بن مسمار.

أ- وهو الذي روى عنه إبراهيم بن المنذر، وتفرد برواية هذا الخبر ولا يوجد له متابع كما هو مبين من قول الحافظ الطبراني المبني عن سعة روايته وكثرة اطلاعه على طرق الحديث، وهذا ما أقره الإمام الحافظ ابن عدي (٢٧٧هـ-٣٦٥هـ) في كتابه «الكامل في ضعفاء الرجال» (٦٠/٢١٦/١) قال: «وإبراهيم بن مهاجر لم أجد له حديثًا أنكر من حديث «قرأ طه ويس» لأنه لم يروه إلا إبراهيم بن مهاجر، ولا يروي (بهذا الإسناد ولا بغير هذا الإسناد) هذا المتن إلا إبراهيم بن مهاجر هذا». اهـ.

قلت: وهذا مبين في الطرق التي أخرجنا بها هذا الخبر من أئمة الحديث في كتب الحديث الأصلية آنفًا.

ب- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٩): «إبراهيم بن مهاجر بن مسمار المدني: منكر الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام البخاري له معناه كما في «تدريب الراوي» (٣٤٩/١): «البخاري يطلق: فيه نظر وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه، ويطلق: منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

جـ- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٠٨/١): «إبراهيم بن المهاجر بن مسمار من أهل المدينة يحدث عن عمر بن حفص بن ذكوان منكر الحديث جدًا ثم أخرج من مناكيره قصة «قراءة طه ويس»، ثم قال: وهذا متن موضوع». اهـ.

د- قلت: وذكر هذا الخبر الحافظ الذهبي في «الميزان» (٢٢٤/٦٧/١)، وجعله من مناكير إبراهيم بن مهاجر بن مسمار المدني، وأقر قول الإمام البخاري: فيه بأنه «منكر الحديث» وقال: «انفرد عنه إبراهيم بن المنذر الحزامي»، ثم أقرَّ قول ابن حبان في حديث «قرأ طه ويس»: «هذا متن موضوع». اهـ.

هـ - وذكره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣٥٠/١١٥/١): وأقرَّ ما أقره الإمام الذهبي في «الميزان» عن إبراهيم بن مهاجر بن مسمار المدني وزاد عليه: «وقال ابن حبان في الضعفاء: منكر الحديث جدًا لا يعجبني الاحتجاج به إذا انفرد». اهـ.

و- وقال الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٦٥/٦٦٠/١): حدثني آدم بن موسى قال: سمعت البخاري يقول: إبراهيم بن المهاجر بن مسمار المدني منكر الحديث ومن حديثه... وأخرج حديث: «إن الله قرأ طه ويس» من منكراته.

ز- وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين»:

«إبراهيم بن مهاجر بن مسمار: ضعيف مدني». اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن إبراهيم بن المهاجر بن مسمار منكر الحديث جدًا وهذا المتن الموضوع المنكر من روايته كما بين ذلك أئمة الجرح والتعديل خاصة الإمام البخاري الذي بين منهجه الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» (ص٥٠٤) قال: «وللبخاري في كلامه على الرجال توقٍ زائد وتحرٍ بليغ يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل فإن أكثر ما يقول: سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه ونحو هذا».

قلت: فكيف بإبراهيم بن مسمار الذي قال فيه الإمام البخاري: «منكر الحديث»؟!

العلة الأخرى: شيخه عمر بن حفص بن ذكوان. قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٠٧٥/١٨٩/٣): «عمر بن حفص أبو حفص العبدي، وهو عمر بن حفص بن ذكوان قال أحمد: تركنا حديثه وحرقناه، وقال علي: ليس بثقة، وقال النسائي: متروك، وقال الدارقطني: ضعيف». اهـ.

قلت: والإمام الذهبي بهذا قد بين شدة ضعف عمر بن حفص بن ذكوان، وقد قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣): «الذهبي من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال». اهـ.

قلت: لذلك أورده الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣٤٢/٤) (٦٠٤٠/١٦٨٩)، ونقل ما ذكره الذهبي في «الميزان» في عمر بن حفص بن ذكوان وأقره بل وزاد عليه ما نقله عن الساجي: «متروك الحديث» ثم أورد أحاديث من مناكيره.

من هذا التحقيق يتبين:

أن الخبر الذي جاءت به القصة منكر والقصة واهية وبها علتان من منكر الحديث لا تحل الرواية عنه وآخر متروك تركوا حديثه وحرقوه ليس بثقة.

رابعًا: تضعيف أئمة الحديث للقصة:

١- أورد الإمام الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١٤١/٣) هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة في صدر تفسير سورة طه نقلاً عن ابن خزيمة قال: «روى إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد عن زياد بن أيوب عن إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا إبراهيم بن المهاجر بن مسمار عن عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة- يعني عبد الرحمن بن يعقوب- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف عام، فلما سمعت الملائكة قالوا: طوبى لأمة ينزل عليهم هذا، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسن تتكلم بهذا».

قال الحافظ ابن كثير: هذا حديث غريب، وفيه نكارة وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما. اهـ.

قلت: وهذا النوع من الغرائب قال فيه الإمام الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (٤٠٨/١): قال أحمد بن يحيى: سمعت أحمد غير مرة يقول: «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير وعامتها عن الضعفاء». اهـ.

وهذه القاعدة للإمام أحمد بن حنبل تنطبق تمام الانطباق على حكم الإمام الحافظ ابن كثير على خبر «قراءة طه ويس».

٢- وأخرج هذا الخبر الذي جاءت به القصة قال الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١١٠/١): «هذا حديث موضوع».

قال ابن عدي: لم أجد لإبراهيم حديثًا أنكر من هذا لأنه لا يرويه غيره.

وقال البخاري: إبراهيم بن المهاجر ضعيف منكر الحديث.

وأما عمر بن حفص فقال أحمد بن حنبل: حرقنا حديثه.

وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك الحديث.

وقال ابن حبان: هذا متن موضوع. اهـ.

٣- وأورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (ح١٩) وضعفه.

٤- وضعفه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢٧٤/١)، وعزاه إلى الدارمي من حديث أبي هريرة.

خامساً: بيان عدم صحة أن طه ويس اسمان من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم.

للرد على المتصوفة الذين يزعمون أن هذه القصة تكريم للنبي صلى الله عليه وسلم من قبل خلق آدم عليه السلام لاعتقادهم أن طه ويس اسمان من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم لوجود الخبر في كتب السنة الأصلية بهذا، ولقد بينا آنفًا عدم صحة قصة «قراءة الله تعالى طه ويس قبل خلق آدم»، وبينا أنها منكرة، وهذا بيان بتخريج وتحقيق الخبر بأن طه ويس اسمان من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم.

١- الخبر أخرجه الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني في «دلائل النبوة» (١٢/١) الفصل الرابع: «ذِكْرُ فضيلته صلى الله عليه وسلم بأسمائه» قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبان، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم التيمي، حدثنا سيف بن وهب عن أبي الطفيل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لي عند ربي عشرة أسماء». قال أبو الطفيل: حفظت منها ثمانية: محمد، وأحمد، وأبو القاسم، والفاتح، والخاتم، والعاقب، والحاشر، والماحي، قال أبو يحيى: زعم سيف أن أبا جعفر قال له: إن الاسمين الباقيين: طه ويس. اهـ.

٢- التحقيق:

هذا الخبر فيه علتان:

الأولى: إسماعيل بن إبراهيم التيمي:

أ- قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٤١٥/١٣٧/٢): إسماعيل بن إبراهيم الأحول أبو يحيى التيمي الكوفي روى عن سيف بن وهب وآخرين، وروى عنه عبد الله بن عمر بن أبان. اهـ. قلت: وقد صُحف إلى عبد الله بن عمرو بن أبان كما في ط. المتنبي- القاهرة، ط. الباز مكة المكرمة تلك الطبعتان اللتان أخرجنا منهما هذا الحديث.

ب- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٤): «إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى التيمي الكوفي، قال ابن نمير: ضعيف جدًا». اهـ.

جـ- وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٣٠): «ضعيف كوفي». اهـ.

د- وقال الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٥٥/٢): روى عنه عبد الله بن عمر بن أبان سألت أبي عنه فقال: ضعيف الحديث، وسألت أبي عنه ثانيًا، فقال: قال ابن نمير: ضعيف الحديث جدًا.

هـ- وقال الحافظ ابن حبان في المجروحين (١٢٢/١): «يخطئ حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد». اهـ.

وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالقوي عندهم، وقال ابو داود: شيعي. اهـ.

قلت: وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣٨٣/٢): «أخرجه أبو نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل ضعيف». اهـ.

العلة الأخرى: سيف بن وهب.

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٦٤٥/٢٥٩/٢): «سيف بن وهب عن أبي الطفيل، قال يحيى بن سعيد: هالك». اهـ.

قلت: وأخرج الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٤٣٦/٣) (٨٥٢/١٢٠) بسنده عن يحيى بن سعيد قال: سيف هالك من الهالكين. ثم أخرج له هذا الحديث من مناكيره، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، حدثنا عبد الله بن عمر حدثنا أبو يحيى التيمي حدثنا سيف بن وهب عن أبي الطفيل مرفوعًا، ثم قال: وقد نسبه يحيى القطان وابن حنبل إلى الضعف. اهـ.

قلت: هذا الحديث المنكر لما فيه من ضعفاء وهالكين يغني عنه هذا الحديث الثابت الصحيح الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٣٥٣٢) (ح٤٨٩٦) ومسلم في (صحيحه) (٢٣٤٥) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب».

ومعنى العاقب: الذي ليس بعده نبي.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

من معاني (الحفظ) في القرآن والسنة

✍ إعداد/ المستشار أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله حمدا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد:

أما بعد: فبتتبع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة التي وردت بلفظ الحفظ، ومشتقاته، أمكن استنباط هذه الفوائد المهمة:

تعريف الحفظ، لغة وشرعًا:

الحفظ لغة: قال الرّاغب ما خلاصته: الحفظ يقال تارة لهيئة النّفس الّتي بها يثبت ما يؤدّي إليه الفهم ويضادّه النّسيان كما في حفظ القرآن الكريم مثلا، ثمّ استعمل في كلّ تفقّد وتعهّد ورعاية وقوله سبحانه: «وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ» (الأحزاب: ٣٥) كناية عن العفّة. أمّا قوله سبحانه: «حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ» (النساء: ٣٤)، أي يحفظن عهد الأزواج عند غيبتهم بسبب أنّ الله تعالى يحفظهنّ أن يطّلع عليهنّ، وقرأ بما حَفِظَ اللهَ بالنّصب أي بسبب رعايتهنّ حقّ الله تعالى لا لرياء وتصنّع منهنّ.

الحفظ اصطلاحًا: لا يختلف معنى الحفظ في اللّغة عن معناه في الاصطلاح، فقد يعني الصيانة عن أسباب التلف، أو الحفظ في الصدر.

الحفظ في القرآن والسنة:

١- بين الله أنه على كل شيء حفيظ:

وحفظ الله لخلقه نوعان:

قال في «الحق الواضح المبين»: وحفظه لخلقه نوعان عام وخاص: حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها، وتمشي إلى هدايته، وإلى مصالحها بإرشاده، وهدايته العامة التي قال عنها: (أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ) (طه: ٥٠).

والنوع الثاني: حفظه الخاص لأوليائه، سوى ما تقدم، بحفظهم عما يضر إيمانهم، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيدهم، قال الله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ» (الحج: ٣٨)، وفي الحديث: (احفظ الله يحفظك). أي احفظ أوامره بالامتثال ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعديها، يحفظك في نفسك ودينك ومالك وولدك، وفي جميع ما آتاك الله من فضله» اهـ.

٢- وبيّن أنه خير الحافظين:

ولأن الله سبحانه خالق كل شيء، وقد أحاط بكل شيء علما، فلا يكون حفظ غيره، كحفظه سبحانه وتعالى، بل هو خير الحافظين، قال تعالى: «قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ» (يوسف ٦٤).

٣- وحفظ مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ:

فاللوح المحفوظ هو الكتاب الذي كتب الله فيه مقادير الخلق قبل أن يخلقهم.قال الله تعالى: «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ» (الحج:٧٠) قال ابن عطية: هو اللوح المحفوظ.

وقال تعالى: «مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ» (الحديد: ٢٢) قال القرطبي: يعني اللوح المحفوظ.

٤- وحفظ عباده وأعمالهم:

ولأنه سبحانه خلق عباده لغاية عظيمة هي عبادته، فقد تكفل بحفظهم، وحفظ لأعمالهم ليجازيهم عليها يوم القيامة.

فحفظ العباد من أمر الله:

فقال تعالى: «لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ» (الرعد ١١)

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره- بعدما ذكر خلافًا لأهل العلم في معناها: قال عبد الرحمن بن زيد: المعقبات ما يتعاقب من أمر الله تعالى وقضائه في عباده؛ قال الماوردي، ومن قال بهذا القول ففي تأويل قوله: يحفظونه من أمر الله وجهان: أحدهما: يحفظونه من الموت ما لم يأت أجل؛ قاله الضحاك. الثاني: يحفظونه من الجن والهوام المؤذية، ما لم يأت قدر؛ - قاله أبو أمامة وكعب الأحبار - فإذا جاء المقدور خلوا عنه؛ والصحيح أن المعقبات الملائكة، وبه قال الحسن ومجاهد وقتادة وابن جريج؛ وروي عن ابن عباس، واختاره النحاس، واحتج بقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث، رواه الأئمة. وروى الأئمة عن عمرو عن ابن عباس قرأ « معقبات من بين يديه ورقباء من خلفه من أمر الله يحفظونه » فهذا قد بين المعنى.» اهـ.

وقال تعالى: « إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ» (الطارق ٤)

وحفظ أعمال العباد:

فقال تعالى: « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ» (الانفطار ١٠)

قال محمد الطاهر بن عاشور – رحمه الله – في تفسيره: «والحافظين صفة لمحذوف تقديره: لملائكة حافظين، أي: محصين غير مضيعين لشيء من أعمالكم. اهـ.

وقال تعالى: « وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ» (الشورى ٦)، قال الشنقيطي – رحمه الله – في تفسيره « أضواء البيان» : «وقوله - تعالى - في هذه الآية الكريمة: الله حفيظ عليهم، أي رقيب عليهم حافظ (ص: ٤٤) عليهم كل ما يعملونه من الكفر والمعاصي، وفي أوله اتخاذهم الأولياء يعبدونهم من دون الله وفي الآية تهديد عظيم لكل مشرك.» اهـ.

٥- وضمن لمن خرج في سبيله أن يحفظه:

عن حميد بن هلال قال: «كان رجل من الطفاوة طريقه علينا فأتى الحي فحدثهم قال: قدمت المدينة في عير لنا فبعنا ثم قلت: لأنطلقن إلى هذا الرجل فلآتين من بعدي بخبره، قال: فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يريني بيتا قال: أنَّ امرأةً كانت فيه (يعني بيتًا في المدينة)، فخرجت في سريَّة من المسلمين، وتركت ثنتَيْ عشرةَ عنزًا لها وصيصتَها، كانت تنسُجُ بها (الصنارة التي يغزل بها وينسج)، قال: ففقدت عنزًا من غنمِها وصيصتها، فقالت:

يا ربِّ ! إنَّك قد ضمنتَ لمن خرج في سبيلك أن تحفَظَ عليه، وإنِّي قد فقدتُ عنزًا من غَنمي وصيصتي، وإنِّي أنشدُك عنزي وصيصتي، قال: فجعل رسولُ الله يذكُرُ شدَّةَ مُناشدتها لربِّها تبارك وتعالى قال: رسولُ الله: فلأصبحت عنزُها ومثلُها، وصيصتُها ومثلُها، وهاتيك فائتها فاسألْها إن شئتَ، قال: قلت: بل أصدقك» (رواه أحمد وصححه الألباني).

٦- وبيّن نبيه صلى الله عليه وسلم أن من حفظ الله، حفظه الله:

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «(كنتُ خلفَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يومًا قال يا غلامُ، إنِّي أعلِمُك كلمات: احفَظ الله يحفَظْك، احفَظ الله تجدْه تُجاهَك، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنْتَ فاستعنْ بالله، واعلمْ أنَّ الأمَّةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، (رُفِعَت الأقلامُ وجَفَّت الصُّحُفُ)» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

فقوله صلي الله عليه وسلم « احفظ الله يحفظك » أي احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلي ما نهي عنه وحَذر منه؛ فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه، وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما حفظه له في مصالح دنياه:

كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله؛ قال عمر بن عبد العزيز: «ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه»، وقال ابن المنكدر: «إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدّويرات التي حوله فما يزالون في حفظ من الله وستر». ومتى كان العبد مشتغلا بطاعة الله فإن الله يحفظه في تلك الحال؛ قال بعض السلف: من اتقي الله فقد حفظ نفسه، ومن ضيّع تقواه فقد ضيّع نفسه، والله غني عنه. قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: «وقال الفضيل: إني لأعصي الله فأعرف ذلك من خلق حماري وخادمي» اهـ. وكذا نسبها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية للفضيل بلفظ: «إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي وامرأتي وفأر بيتي» اهـ.

النوع الثاني: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه:

وهو أشرف النوعين، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة ومن الشهوات المحَرمة، ويحفظه عند موته فيتوفاه على الإيمان.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «احفظ الله تجده تجاهك» معناه أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في كل أحواله حيث يتوجه يحوطه وينصره ويوفقه ويُسدّده «إنّ اللّه مَعَ الّذِينَ اتّقَوا وَالّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ» قال قتادة: «من يتقي الله يكن معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تُغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل». بل كتب بعض السلف إلى أخ له فقال: «أما بعد، فإن كان الله معك فمن تخاف؟! وإن كان عليك فمن ترجو؟!

٧- ومن حفظ الله أدخله جنته:

قال تعالى: « وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ » (ق ٣١- ٣٢)، قال الطبري – رحمه الله – في تفسيره: «يعني - تعالى ذكره - بقوله (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) وأدنيت الجنة وقربت للذين اتقوا ربهم، فخافوا عقوبته بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

وبين لهم أن الأمانة من أسباب الحفظ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم «ذكر رجلًا من بني إسرائيل سأل بعضَ بني إسرائيل أن يُسلفَه ألفَ دينار، فقال: ائتني بالشهداء أُشهدُهم. فقال: كفى بالله شهيدًا. قال: فائتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلًا. قال: صدقتَ. فدفعها إليه إلى أجل مسمًى، فخرج في البحر فقضى حاجتَه، ثم التمس مركبًا يركبُه ويَقْدَمُ عليه للأجلِ الذي

أجَلَه، فلم يجدْ مركبًا، فأخذ خشبةً فنقرَها، فأدخل فيها ألفَ دينار وصحيفةً منه إلى صاحبها، ثم زجَّج موضعَها، ثم أتى بها البحرَ فقال: اللهم إنك تعلمُ أني تسلَّفتُ فلانًا ألفَ دينار فسألني كفيلًا، فقلتُ: كفى بالله كفيلًا؛ فرضيَ بك، وسألني شهيدًا، فقلتُ: كفى بالله شهيدًا؛ فرضيَ بك، وإني جهدتُ أن أجدَ مركبًا أبعثُ إليه الذي له فلم أقْدِرْ، وإني استودَعتُكها، فرمى بها في البحر حتى ولَجتْ فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظرُ لعلَ مركبًا قد جاء بماله، فإذا الخشبة التي فيها المالُ ! فأخذها لأهله حطبًا ! فلما نشرها وجد المالَ والصحيفةَ ! ثم قدم الذي كان أسلفَه وأتى بألفَ دينار، فقال: والله ما زلْت جاهدًا في طلب مركبٍ لآتيَك بمالك، فما وجدتُ مركبًا قبلَ الذي أتيتُ فيه. قال: هل كنت بعثتَ إليَّ بشيء ؟ قال: أخبرك أني لم أجدْ مركبًا قبل الذي جئتُ فيه. قال: فإنَّ الله قد أدَّى عنك الذي بعثْتَه في الخشبة، فانصرفْ بالألف الدينار راشدًا». (رواه المنذري في الترغيب والترهيب وصححه الألباني).

وبين لهم أن حفظ اللسان والفرج سبب لدخول الجنة:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَن حَفظَ ما بينَ فُقْمَيْه ورجلَيْه دخل الجنَّةَ» (أورده السيوطي في الجامع الصغير وصححه الألباني).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «من حفظ ما بين لَحيَيه دخل الجنَّةَ» (رواه المنذري في الترغيب والترهيب وصححه الألباني).

وعن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اثنتان تُدخلانِ الجنَّةَ: من حفظ ما بينَ لَحْيَيْه ورجلَيْه دخلَ الجنَّةَ» (أورده السيوطي في الجامع الصغير وصححه الألباني).

وأن حفظ البطن وما حوى من الحياء:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «استَحيوا من الله حقَّ الحياء. قال: قلنا: يا نبيَّ الله ! إنَّا لنَستَحيي والحمدُ لله. قال: ليسَ ذلكَ، ولكن الاستحياءُ من الله حَقَّ الحياء: أن تَحفَظَ الرأسَ وما وعى، وتحفظَ البطنَ وما حَوَى، ولتذكرِ الموتَ والبلى، ومَن أرادَ الآخرةَ ترك زينةَ الدُنيا، فمَن فعل ذلكَ فقد استحيا منَ الله حقَّ الحياء» (أورده المنذري في الترغيب والترهيب وقال عنه الألباني وقال حسن لغيره).

وأمر الله المؤمنين بحفظ أيمانهم:

فقال تعالى: «لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (المائدة ٨٩)

قال ابن العربي – رحمه الله – في «أحكام القرآن»: «(واحفظوا أيمانكم) يحتمل ثلاثة معان: الأول: احفظوها، فلا تحلفوا فتتوجه عليكم هذه التكليفات. الثاني: احفظوها إذا حنثتم؛ فبادروا إلى ما لزمكم. الثالث: احفظوها فلا تحنثوا، وهذا إنما يصح إذا كان البر أفضل أو الواجب. والكل على هذا من الحفظ صحيح على وجهه المذكور وصفته المنقسمة إليه، فليركب على ذلك، والله أعلم.» اهـ.

وسيسأل الله كل راع عن حفظه لرعيته:

عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ الله سائلٌ كلَّ امرئٍ عمَّا استرعاهُ حَفظَ ذلكَ أم ضيَّعَهُ» (صححه الألباني).

وفي رواية «إنَّ اللهَ سائلٌ كلَّ راعٍ عمَّا استَرعاهُ، حفظَ أم ضيَّعَ، حتَّى يسألَ الرَّجلَ عن أهلِ بيتِه» (أورده المنذري في الترغيب والترهيب وصححها الألباني).

نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا ويبارك لنا أجمعين.

من فتاوى اللجنة الدائمة في البيوع والسمسرة

وسيط يتقاضى عمولة من شركته

السؤال الثاني والثالث من الفتوى رقم (٧٥٢٠):

س: وسيط يعمل في شركة وله راتب ثابت في هذه الشركة، ويعمل وسيطاً بين هذه الشركة التي يعمل بها وشركة أخرى، ويشتري منها بعض الماكينات ويأخذ عمولة من الشركة التي تبيع الماكينات، مع العلم أنه لا يطلب بنفسه هذه العمولة، ولكن صاحب الشركة هو الذي يعطيها له بدون أن يطلب هذا الوسيط هذه العمولة، فهل تعتبر هذه العمولة شرعية؟ أفيدوني أفادكم الله.

ج: ما دام أن هذا الوسيط له راتب شهري في الشركة التي يعمل فيها، فأخذ عمولة من الشركة الثانية مقابل التعامل معها للشراء لصالح الشركة الموظف فيها لا يجوز؛ لأنه مظنة لهضم الشركة التي هو موظف فيها من جهة السعر، فلا يناقص فيه، ومن جهة جودة البضاعة التي يشتريها لها.

حكم البقشيش والمحسوبية والإكرامية

الفتوى رقم (١٦٠٤٣):

س: ما حكم ما يسمونه: البقشيش، المحسوبية.. إلخ من المصطلحات التي تطلق على المال الذي يعطيه صاحب المحل للصنايعي (صاحب مهنة معينة) مقابل أن يشتري من عنده بضاعته، أو أتى له بالزبون، ويسمونها (إكرامية)، أفيدونا في هذا أفادكم الله، وجعلكم دائما قائمين على إيضاح الحق وإزالة الضباب عن الجهل بالدين. نرجو أن يكون الرد رسالة عامة للجميع (زبون، صانع، تاجر) حتى يعرف الجميع الحكم فتنتهي هذه المسألة.

ج: هذا العمل لا يجوز لما يلي:

أولا: هذا العمل فيه أضرار وظلم للمشتري؛ لأنه يحمل ما سيدفع للسمسار بدون علم المشتري.

ثانيا: هذا العمل فيه إضرار بأصحاب المحلات ممن لا يتعاملون بهذه الطريقة السيئة؛ لأن من لم يدفع للدهان مثلا فلن يأتي إليه للشراء من بضاعته، ولن يأتي إليه بالعملاء، وإذا اشترى أحد من بضاعته فسيذمها الدهان أو غيره ممن تلك طريقتهم.

نسأل الله العافية والتوفيق للجميع.

السؤال الثاني من الفتوى رقم (١٨٥٧٤):

س: بعض أصحاب سيارات النقل يأتون بالسلع من المزارع، ثم يشترط علينا صاحب السيارة بأن نعطيه خمسين ريالا لكي تحرج له المؤسسة، أي تتولى بيع البضاعة التي معه، ويخصم المبلغ من عمولة التحريج الخاصة بالمكتب. ما حكم ذلك في الشرع؟

ج: لا يجوز إعطاء صاحب

السيارة المبلغ المذكور؛ لأنه لا حق له في ذلك؛ لكونه أجيرا لصاحب المزرعة، ولأن إعطاءه المبلغ المذكور وسيلة إلى خيانته، وعدم نصحه للمزارع، ولما فيه من الضرر على الآخرين.

السؤال الثامن والتاسع من الفتوى رقم (١٩٦٣٧):

س: كثر الجدل حول مقدار السعي الذي يأخذه الدلال (السمسار)، فساعة (٢,٥) في المائة، وساعة (٥) في المائة، فما هو السعي الشرعي، أو أنه حسب الاتفاق بين البائع والدلال؟

ج: إذا حصل اتفاق بين الدلال والبائع والمشتري على أن يأخذ من المشتري أو من البائع أو منهما معا سعيا معلوما جاز ذلك، ولا تحديد للسعي بنسبة معينة، بل ما حصل عليه الاتفاق والتراضي ممن يدفع السعي جاز، لكن ينبغي أن يكون في حدود ما جرت به العادة بين الناس مما يحصل به نفع الدلال في مقابل ما بذله من وساطة وجهد لإتمام البيع بين البائع والمشتري، ولا يكون فيه ضرر على البائع أو المشتري بزيادته فوق المعتاد.

س: أخذت زبونا إلى أحد المصانع أو المحلات لشراء بضاعة، فأعطاني صاحب المصنع أو المحل عمولة على الزبون. هل هذا المال حلال (العمولة)؟ وإذا زاد صاحب المصنع مبلغا معينا على كل قطعة يأخذها الزبون، وهذه الزيادة آخذها أنا مقابل شراء الزبون لهذه البضاعة، فهل هذا جائز؟ إذا كان غير جائز فما هي العمولة الجائزة؟

ج: إذا كان المصنع أو التاجر يعطيك جزءا من المال على كل سلعة تباع عن طريقك؛ تشجيعا لك لجهودك في البحث عن الزبائن، وهذا المال لا يزاد في سعر السلعة، وليس في ذلك إضرار بالآخرين ممن يبيع هذه السلعة، حيث إن هذا المصنع أو التاجر يبيعها بسعر كما يبيعها الآخرون - فهذا جائز ولا محذور فيه.

أما إن كان هذا المال الذي تأخذه من صاحب المصنع أو المحل، يزاد على المشتري في ثمن السلعة، فلا يجوز لك أخذه، ولا يجوز للبائع فعل ذلك؛ لأن في هذا إضرار بالمشتري بزيادة السعر عليه.

حكم بيع العربون

السؤال السابع من الفتوى رقم (٩٣٨٨):

س: هل يجوز للبائع أن يأخذ العربون من المشتري، وفي حالة عدم وفاء المشتري أو رجوعه في البيع هل يحق شرعا للبائع أن يحتفظ بالعربون لنفسه دون أن يرده للمشتري؟

ج: إذا كان الواقع كما ذكر، جاز له أن يحتفظ بالعربون لنفسه، ولا يرده للمشتري في أصح قولي العلماء إذا اتفقا على ذلك.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

شراء السلع بعد بيعها

س: إذا اشترى الإنسان سلعة ما، سيارة مثلا، واستعملها فترة من الزمن، ثم بدا له أن يبيعها، فهل له أن يبيعها على صاحبها الأول أم لا؟

ج: إذا كنت قد سلمت قيمة السيارة كاملة لمن اشتريتها منه، ولم يكن هناك مواطأة فيما بينك وبينه فلا مانع أن يشتري منك السيارة المذكورة؛ لعدم المحذور في ذلك. [فتوى رقم: ١٩٢٩٧].

شراء الهدية

س: رجل أعطى أخاه سيارة هدية، فأراد الذي أهدي إليه أن يبيع السيارة، فهل للذي أهدى السيارة أن يشتريها، أم لا يحل له أن يشتريها؟

ج: لا يجوز للمهدي أن يشتري ما أهداه لأخيه؛ فعن عمر رضي الله عنه قال: حملت

على فرس في سبيل الله، فأضاعه صاحبه، فظننت أنه بائعه برخص، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: مالك. لا تبتعه، وإن أعطاكه بدرهم، فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه. متفق عليه. [فتوى رقم: ١٠٦٣٥].

البيع بالتقسيط بفوائد على الأقساط

س: سائل من الولايات المتحدة يسأل عن من يبيع السيارات بأقساط، وعلى المبلغ المؤجل فوائد محددة، لكنها تزيد بتأخر دفع القسط عن موعد تسديده، فهل هذا التعامل جائز أم لا؟

ج: إذا كان من يبيع السيارة إلى أجل يبيعها بثمن معلوم إلى أجل أو آجال معلومة زمنا وقسطا، لا يزيد المؤجل من ثمنها بتجاوزه فلا شيء في ذلك؛ لقوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} الآية [البقرة: ٢٨٢]، ولما ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى إلى أجل، أما إن كان المؤجل -كما هو مفهوم من السؤال- يزيد بتأخر دفع القسط عن موعده المحدد فذلك لا يجوز بإجماع المسلمين؛ لأنه ينطبق عليه ربا الجاهلية الذي نزل فيه القرآن، وهو قول أحدهم لمن عنده له دين عند حلول ذلك الدين: إما أن تقضي وإما أن تربي، أي: تزيد. [فتوى رقم: ٢٨٠٥]. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

التأمين الإجباري على السيارات

س: اشترى رجل سيارة بأقساط؛ لأنه لم يستطع دفعها نقدا، وعند ذلك أجبرته وكالة هذه السيارة على التأمين، يؤمن على سيارته، ما رأي فضيلتكم وسماحتكم في هذا التأمين وغيره من التأمينات الأخرى، كالتأمين على الحياة وغيره؟

ج: شراؤك السيارة بالأقساط جائز إذا كانت السيارة معلومة، والثمن معلوم، وكل قسط مع أجله معلوما، أما التأمين على السيارة فمحرم، وكذا التأمين على الحياة وعلى الأعضاء وعلى البضاعة، وسائر أنواع التأمين التجاري؛ لما في ذلك من الغرر والمقامرة، وأكل الأموال بالباطل. [فتوى رقم: ٤٩١٠].

شراء السيارات بالقسط

س: اتفقنا أنا ورجل أن اشتري له سيارة، فقلت له: هي من المعرض بـ (٥٠٠٠٠) خمسين ألف ريال، وإذا أحضرتها لك تدفع لي (٦٠٠٠٠) ستين ألف ريال. فهل هذا حلال؟

ج: لا بأس ببيع السيارة أو غيرها من السلع، إذا كان بيعك لها بعد شرائك لها وحيازتها في ملكك، فيجوز أن تبيعها بثمن حال أو بثمن مؤجل أكثر من الحال، سواء كان الثمن المؤجل مقسطا أو غير مقسط؛ وذلك لقوله تعالى: سورة البقرة الآية ٢٧٥ (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ) وقوله تعالى: سورة البقرة الآية ٢٨٢ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) وهذا يدخل فيه ثمن المبيع المؤجل. أما بيع السلعة على من طلبها قبل شرائها وحيازتها فلا يجوز؛ لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم. وقال عليه الصلاة والسلام: من اشترى طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه.

وقال صلى الله عليه وسلم: لا تبع ما ليس عندك. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نشتري الطعام جزافا، فيبعث إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينهانا أن نبيعه حتى ننقله إلى رحالنا. [فتوى رقم: ١٦٣٨٤]

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا ، يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا ، يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

◎ ◎ ◎ ◎

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين : القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

◎ ◎ ◎ ◎

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا.

◎ ◎ ◎ ◎

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله ، فكل مشرّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتدٍ عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه.

الآن

مفاجأة سارة

موسوعة التوحيد بيلاش

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة بيلاش بدون مُقَدَّم ؛ فقط ادفع ١٠٠ جنيهاً بعد الاستلام على ثمانية أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكّى من الفرع .
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير وصفحة مجلة التوحيد .

ومفاجأة آخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٥ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيها فقط

23936517

١٤٣٥